الثقافة ثراء وسيرورة لا تنتهي

الأسبوع الأدبي

اتحاد الكتاب العرب

www.awu.sy

الأسبوع الأدبي - "السنة الثلاثون" العدد: "1544" الأحد 2017/6/4م - 9 رمضان 1438هـ

16 صفحة

25 ل.س

جريدة تعنى بشؤون الأدب والفكر والفن تصدر عن اتحاد الكتاب العرب في سورية

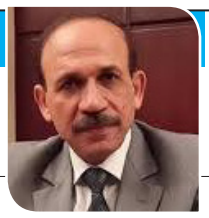

• أ.د.نضال الصالح

الافتتاحية

الجهل المقدّس

للباحث الفرنسي «أوليفيه روا» كتاب علامته اللغوية الكبرى هي العلامة التي اخترتها لهذه الافتتاحية، أمّا علامته الصغرى، فهي: «زمن دين بلا ثقافة»، وصدر، بترجمته إلى العربية، عن دار الساقي في بيروت سنة 2012، وتوزعت مادته، بالإضافة إلى التوطئة والمدخل، على قسمين، الأول بعنوان: «اندراج الديني في الثقافي»، تضمّن أربعة فصول، هي: عندما يلتقي الديني الثقافةَ، ومن الحضارة إلى التعددية الثقافية، ودينٌ عِرْقُ أمّة، والثقافة والدين / القطيعة، والثاني بعنوان: «العولمة والديني»، وتضمّن ثلاثة فصول، هي: السوق الحرة أم الهيمنة بواسطة السوق، وسوق الديني، وتوحيد نمط الدينيّ.

الكتاب شديد الثراء معرفياً، غير أنّ ما يعنيني منه، هنا والآن، ليس ما يتضمنه على الرغم من أهميته، بل العلامة اللغوية التي اختارها المؤلف له، أي «الجهل المقدّس» الذي عنى به الإيمان الأعمى، والذي يكاد يرادف ما كان النفّري اصطلح عليه بالعلم المستقرّ وشبّهه بالجهل المستقرّ، كما يرادف تمييز الفيلسوف الفرنسي «لالاند» في كتابه «العقل والمعايير» بين العقل الناظم والعقل المنظوم، أو العقل المكوِّن (بكسر الواو وتشديدها) والعقل المكوَّن (بفتح الواو وتشديها).

هل يمكن للجهل أن يكون مقدّساً؟ بل هل ثمة مَن يقدّس الجهل، فرداً أو جماعة أو مجتمعاً أو أمّة؟ وكيف يمكن لقوّة معوّقة لحركة العقل أن تحظى بمؤيدين لها، وأحياناً إلى الحدّ الذي يتحول هؤلاء المؤيدون معه إلى عبيد لها أو أرقّاء، بل إلى الحدّ الذي يليق بهم معه وصف القرآن لمَن ينعق بما لا يسمع: «صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ»؟ وأخيراً، إلى أيّ حد يمكن لـ«الجهل المقدّس» أن يكون له حضوره في الثقافة؟

أجل يمكن، وأكثر من ذلك يمكن أن يكون «الجهل المقدّس» هو السمة المميزة لهذا المشهد الثقافيّ أو ذاك، أو لهذه الفعاليات الثقافية أو تلك، أمّا كيف يمكن أن يكون ممكناً، فهذه بعض الصور الدالّة على ذلك: التصفيق المجّاني لفعل «ثقافيّ» شكلاً و«وظيفي» محتوى، ولآخر بدين كمّاً على مستوى الحضور وناحل أثراً على مستوى العائد منه، ولثالث وهّاج على المستوى الإعلاميّ وباهت على المستوى الواقعيّ. ومنها، أي من الصور الدالّة، ما يمكن الاصطلاح عليه بالقطيع الممجّد لهذا المسؤول الثقافيّ أو ذاك، بوصفه مسؤولاً فحسب لا بوصفه مثقفاً، بحثاً عن فتات على مائدته، أو طمعاً بامتياز صغير من عائدات المؤسسة التي آلت إليه على غفلة من الحقيقة، وعلى غفلة من الثقافة نفسها. ومنها شهود الزور الذين لا يترددون عن دفع الحقيقة إلى الوقوف على رأسها بدلاً من وقوفها على قدميها، وعلى المبدأ القائل «جكارة بالطهارة».

الثقافة قيم ومبادئ وأخلاق، والمثقف حارس بالضرورة لهذه القيم والمبادئ والأخلاق، وهو باحث بالضرورة أيضاً عن الحقيقة ومعنيّ بها لا بالزيف، وفاعلٌ لا مفعول به أو فيه، وإن ارتضى لنفسه الصفة الثانية فهو «جهل مقدّس» يمشي على قدمين، أو جهل مستقرّ، أو عقل منظوم.

لشيخ القصة العربية الراحل يوسف إدريس قوله: «الثقافة هي المعرفة الممزوجة بالكرامة»، وما مِن ريب في أنّ من أبجديات الكرامة أن يكون المرء حرّاً، وأن يعي أنّ الحرية مسؤولية، وأنّ المسؤولية تعني قول الحقيقة، وأنّ الحقيقة، شأن الشمس، لا يمكن أن تُحجب بغربال، وأنّه «لا يصحّ إلا الصحيح» مهما تغوّل الزيف، أو تورّمَ، أو عمّرَ حتى يطول عليه الأبد شأن «لُبد» في المثل العربيّ القديم.

وبعد، فما أكثر الذين ينطبق عليهم قول «نعوم تشومسكي: كثير من «المثقفين» لديه مشكلة، عليه تبرير وجوده!

المذكرات المزعومة للأمير عبد القادر الجزائري

• أحمد سعيد هواش ـــ ص2

بلفور ونكبة أيار ١٩٤٨ غيّرتا وجه المنطقة ومجرى التاريخ

• د. يوسف جاد الحق ـ ص 3

على هامش الأمل قراءة في ديوان "حين اعتزلت الغناء"

• عدنان كنفاني ـ ص 6

الكاتب والتشكيلي أديب مخزوم... بين شعرية اللون ...و شعرية الموسيقى

• ريم الحمش ـــ ص15

تمثال الأمومة / للفنان الكبير محمود جلال

المذكرات المزعومة للأمير عبد القادر الجزائري

• أحمد سعيد هواش

لقد أثرت الأميرة بديعة الحسني الجزائري المكتبة العربية والإسلامية بأكثر من خمسة عشر كتاباً في التاريخ العربي والإسلامي بعامة وتاريخ الجزائر والأمير عبد القادر بخاصة، وهي بكتاباتها مؤرخة وباحثة تتطلع لإحقاق الحق ودحض الافتراءات والأكاذيب التي لحقت بالأسرة الجزائرية وعلى رأسها المجاهد المغفور له الأمير عبد القادر الجزائري، وهي تعتمد بذلك على ثقتها بنفسها كمؤرخة من جهة، وعلى صلة القرابة التي تربطها به من جهة ثانية، فهي من لب عائلته.

وتقول في مقدمة الكتاب المذكور1: «ولأهمية المصدر هنا كما هو معروف شأن كبير، في أي معلومة، وقيمة مصداقيتها ولو كان ذا قربى، فالنسب وحده لا يكفي ولا يكسب المعلومة مصداقية، وإنما يجب أن يكون إلى جانب النسب الأدلة والتوثيق المطلوب».

هدية تيسيه وجاك شوفالييه للمكتبة الوطنية في الجزائر

في عام 1970 قدم كل من الكردينال هنري تيسيه وجاك شوفالييه، رئيس بلدية الجزائر أثناء الاحتلال مخطوطاً للمكتبة الوطنية في الجزائر زعما أنهما وجداه بين الأخشاب في قبو القصر، أطلق عليه المسؤولون في وزارة المجاهدين اسم: (مذكرات الأمير عبد القادر) وتم استلامه بحفل كبير.

الفصل الأول:

وقد قامت الباحثة الأميرة بديعة الحسني الجزائري بالرد على هذا المخطوط وذلك بكتاب يحوي مقدمة وثلاثة فصول: فتقول عن هذا المخطوط:

الأمير بريء من هذ المخطوط؛ والأدلة عديدة وكثيرة لم يكتبِ في هذا المخطوط كلمة واحدة، وحتى لا سطراً واحداً، ولا أملاه على أحد، ثم تأتي بالأدلة والشواهد التي تؤيد كلامها هذا منها:

أولاً: الأسلوب الركيك والكلمات العامية والسوقية في بعض النصوص، والأمير عرف بأنه شاعر وأديب وفقيه باللغة العربية الجميلة.

ثانياً: المعلومات التي وردت في المخطوط أكثرها مغلوطة وغير صحيحة، والشيء الصحيح إن الأمير كان قد كتب رسالة قدَّمها للقساوسة الذين طلبوا منه معلومات عن الإسلام وهي: (المقراض الحاد لقطع لسان منتقص دين الإسلام بالكفر والإلحاد).

ثالثاً: ترددت في نصوص هذا المخطوط كلمة (نصارى) كثيراً، وكأن الأمير كان يحارب النصارى والأمير كان يقاتل معتدين بصرف النظر عن دينهم ومذهبهم.

التاريخ الروماني:

وقد جاء في الصفحة 198 من المخطوط المذكور وغيرها نصوص نسب فيها للأمير المبالغة في مدح الإفرنسيين كجنس، والرومان كحضارة. وتقول الباحثة المحققة الأميرة بديعة الحسني الجزائري:

«الأمير عبد القادر مجاهد مسلم مثقف ثقافة دينية راقية، حفظ القرآن، ودرس كتاب البخاري المتوفى عام 276هـ، وكذلك درس الحديث النبوي الشريف في معاهد وهران وفاس والزيتونة، مثلما درس التاريخ الإسلامي وهو يعلم التاريخ الروماني ويعرف الكثير عن التاريخ الإسلامي، وعن الخلافات الخطيرة التي حدثت بين الرومان والنصارى في بلاد الشام ومصر من الكتب التاريخية التي كانت في مكتبته في حوش بلاس في سورية.»

الفصل الثاني:

وفي هذا الفصل تذكر المحققة أن المخطوط المذكور يحتوي اعترافاً من الأمير عبد القادر الجزائري بأنه أوقف المقاومة، وأنهم جعلوا هذا المجاهد يكررها عدة

مرات كما جعلوه يقول في هذا المخطوط بأن فرنسا أرسلت له هدايا بوساطة الدوق دومال وهو في الميناء منها ملابس نفيسة من كل نوع ومعها أنواع الطيب وأوانٍ فضية للشراب وساعة ذاتَ قيمة، وجعلوا الأمير يقول في هذا المخطوط أنه فرح بهذه الهدايا ويصفونه كأنه طفل صغير فرح بملابس العيد. كما جعلوه يكيل المديح لدولة فرنسا بعبارات لا يمكن التصديق بأنها تصدر من مجاهد ثار عليهم وحاربهم. والحقيقة أن المقاومة لم تتوقف. وإنما استمرت بعد هجرته من قبل رجاله وكان آخرها ثورة الجزائر الأخيرة، نوفمبر 1954م التي انتهت بتحرير التراب الجزائري حزيران عام 1962.

أما الهدايا فلم يقبلها الأمير لأنها ملابس فرنسية ولديه ما يكفيه من ملابس جزائرية طاهرة، ملابس الجهاد التي يريد أن يستقبل بها حين نزوله من الباخرة في عكا أو غيرها في بلاد المسلمين.

الفصل الثالث: وفيه تتحدث الباحثة عن كثرة الكلمات العامية والسوقية التي جاءت في هذا المخطوط وهي بعيدة كل البعد عن صدورها من مجاهد، عالم، شاعر، فقيه كالأمير عبد القادر الجزائري.

وتستغرب الباحثة تصديق هذا المخطوط ونسبه إلى الأمير عبد القادر، رغم أن ناشر الكتاب الأصلي الأستاذ محمد صغير البناني يشيده بالكتاب (مذكرات الأمير عبد القادر) إذ قال: «وهكذا يكون الأمير بعد واجب السيف قد أدى عنا واجب القلم تجاه العربية بإيصال سلسلة الأدب غايتها الأخيرة في حلقة تحمل الإرهاصات الأولى لأدابنا الحديثة».

وترد الباحثة المحققة الأميرة بديعة الحسني الجزائري على ما جاء في هذا الكتاب:

«ولا شك أن طباعة هذا المخطوط ونشره كمذكرات للأمير هو عمل كارثي وتصدر منه نسخ ملأت البلاد غرباً وشرقاً، ويرسل منه نسخ إلى المعارض في البلاد العربية تحت اسم مذكرات «الأمير عبد القادر»، لقد أراد خصوم الأمير عبد القادر من الفرنسيين تحطيم رموز كفاح الشعب الجزائري بأقلام كتابهم مثل الرسائل الكاذبة في كتاب هنري تشرشل، وهذا المخطوط المضحك، والمصيبة أن عدداً من الأكاديميين الجزائريين الذين درسوا في «السوربون» في باريس وأستثني منهم الدكتور عبد الكريم بوصفصاف» على سبيل المثال لا الحصر مع الأسف وقفوا معهم. وتقول: «إن النسخة الأصلية من المخطوط أرسلت من الجزائر إلى مركز البحوث في دمشق، واطلع عليها ثلاثة أساتذة هم: الدكتور مكي والدكتور حسان الطيان والدكتور يحيى الميرعلم، وهم أعضاء في مركز البحوث العلمية في دمشق، ولم يهتموا به لأسباب كثيرة منها أنهم أيقنوا أن لا صلة له بالأمير عبد القادر، وهكذا تم التوافق ما بين الأدلة التي أوردتها المؤلفة الفاضلة في كتابها المذكور أعلاه وبين آراء أعضاء مركز البحوث في دمشق في نفي إلحاق المذكرات المزعومة بالأمير عبد القادر الجزائري، كما قامت الباحثة المحققة الأميرة بديعة الجزائري في تنظير كتاب آخر بعنوان: براء الأمير عبد القادر من كتاب المواقف وكتاب ذكرى العاقل، وهو يدخل في الموضوع السابق نفسه.

---

1 - هدية السيد شوفالييه إلى المكتبة الوطنية: المذكّرات المزعومة تحقيق ودراسة بقلم الأميرة بديعة الحسني الجزائري، مطبعة ابن زيدون، ط1، 2010/1/9 (140) ص. قطع متوسط، وعنوان الكتاب الأصلي (مذكرات الأمير عبد القادر) محمد الصغير البناني، الجزائر، دار الأمة 2004م.

التصعيد المتبادل تركياً وأوروبياً؟

•د. صياح عزام

تصاعد الخلاف بين تركيا وأوروبا مؤخراً، فبداية التوتر كانت مع ألمانيا، ووصلت إلى ذروتها مع /هولندا/، ثم تمددت لتشمل كل الدول الأوروبية من /النمسا/ إلى إيطاليا والدانمارك وفرنسا/ وغيرها.

التوتر بين تركيا وهولندا كان مرتبطاً بعاملين اثنين: الأول يتجسد في الظروف الانتخابية كحل من البلدين، والثاني: اختلاف المنظومة الحضارية والحقوقية بين تركيا وأوروبا، علماً بأن هذا العامل يحمل صفة الثبات والديمومة في العلاقات بين تركيا والغرب عامة، وهذا ما يذكر بـ "صدام الحضارات" الذي أقام الدنيا ولم يقعدها على صاحبه المعروف "صموئيل هانتنغتون" فيما تعكس هذه النظرة واقعاً يفترض أن يعترف به الجميع، وألا يتهربوا من مواجهته كلِ إشكالاته وتداعياته.

وبالتفصيل، يمكن القول أنه في /هولندا/ جرت انتخابات أراد لها رئيس الحكومة والحزب الليبرالي "مارك روتي" أن تقطع الطريق على الحزب اليميني المتطرف بزعامة "غيرت ويلدرز" حيث كانت الأرقام تشير إلى تقارب النتائج. من هنا جاءت متزايدة "روتي" على "ويلدرز" في مجال تصعيد الخطاب القومي.

بالنسبة للجاني التركي أو تحديداً بالنسبة لـ "أردوغان" المشكلة كانت أكبر بكثير، وبالتالي، فهو المسؤول بالدرجة الأولى عن التوتر والتصعيد، حيث أن الهاجس لدى /أردوغان/ هو انتخابي مئة بالمئة، ذلك أن الاستفتاء على التعديلات الدستورية المقرر في /16/ نيسان 2017، هو استفتاء مصيري بالنسبة له، لأنه سيمنحه صلاحيات مطلقة وغير مسبوقة تفوق صلاحيات أي رئيس أو ملك في العالم بأسره.

استطلاعات الرأي داخل تركيا، تشير إلى أن نسبة المؤيدين والمعارضين للتعديلات "متقاربة" وهو ما يقلق /أردوغان/ وأركان حكومته، ويدفعهم إلى تحشيد أكبر الجهود الداخل والخارج لتقوية كفة الـ "نعم" في الاستفتاء المرتقب، علماً بأن الجالية التركية في أوروبا كبيرة، تقارب الـ /4/ ملايين نسمة أو أكثر بقليل، موزعة بين ألمانيا وهولندا وفرنسا والنمسا والدول الإسكندنافيه وغيرها.

ولكن المهرجانات واللقاءات الجماهيرية في أوروبا التي أقيمت بأوامر مباشرة من /أردوغان/ وبحضور وزراء ومسؤولين أتراك كبار، جاءت في مرحلة تشهد فيها كل من هولندا وفرنسا وألمانيا وغيرها انتخابات، وسط تصاعد موجة "الإسلاموفوبيا" التي عززها وصول "دونالد ترامب" إلى البيت الأبيض الأمريكي، وهذا ما يرى فيه الأوروبيون أنه يزيد في مناخ التوترات والحساسيات، ولهذا طالب الأوروبيون أنقرة بعدم إقامة هذه المهرجانات واللقاءات مع الجالية التركية في الدول الأوروبية، تحاشياً للاحتكاكات والفوضى وإمكانية خرق النظام.

لكن ما حصل على أرض الواقع، أن /أردوغان/ رفض ذلك بعنف، بل وجد في ظهور هذا التوتر، فرصة لتصعيده للاستفادة منه في رفع حدّة الخطاب الاستقطابي في الداخل التركي، لصالح إنجاح الاستفتاء، ولإظهار حكومة حزب العدالة والتنمية بأنها تتعرض للظلم من قبل الدول الأوروبية، وأن /أردوغان/ مستهدف شخصياً من قبلها، ما يزيد في نسبة المصوتين بـ "نعم" انطلاقا من التأييد القومي للاستفتاء.

ويرى مراقبون حياديون داخل وخارج تركيا، أنه لو لم يكن هناك أي توتر بين تركيا وأوروبا، فإن /أردوغان/ يلجأ دائماً وعشية كل انتخابات إلى البحث عن توترات وتصعيدها تحت أي مسمى، على أمل تعزيز الدعم الشعبي التركي له، ومن ذلك، احتمالات أن يقوم بمغامرة عسكرية ما، إما ضد حزب العمل الكردستاني في جبال قنديل أو في سورية في مدينة "منبج"، أو في مكان آخر يختاره.

جدير بالذكر، أن الخطاب القوي المتشدد لأردوغان وأركان حكمه، بلغ ذروات غير مسبوقة، وصلت إلى ما وصفه البعض بـ "الهستيريا"، وذلك عندما وصف /أردوغان/ "أوروبا" بأنه "نازية وفاشية" لا مست على حد زعمه، المحرمات التي ناضلت أوروبا طويلاً ضدها. ووصل الإعلام التركي المؤيد لـ /أردوغان/ إلى درجة وضيعة وسخيفة جداً، عندما لم يترك / شتيمة/ إلا وجهها إلى هولندا وألمانيا ومنها عبارات مثل "كلاب أوروبا" التي تصدرت عناوين الصفحات على مدى عدة أيام متتالية.

ولكن مع الأسف، أن الدول الأوروبية المستهدفة، وخاصة ألمانيا وهولندا، تجاهلت مثل هذا التحقير لها، وراحت تبرر إجراءاتها بمنع المهرجانات واللقاءات الجالية التركية ودولها، بأنها جاءت للمحافظة على النظام والهدوء!

تبريرات تفوح منها رائحة الجبن والخوف، وكأن تركيا دولة عظمى يمكنها اجتياح أوروبا بأيام والسيطرة على دولها! وهنا نتذكر ما قاله المسؤول الأمريكي السابق رفيع المستوى عن أوروبا، عندما وصفها بـ "القارة العجوز" لنقول إنه كان محقا بذلك أما بالنسبة للعامل الثاني المتعلق بطبيعة الاختلاف الحضاري بين الطرفين التركي والأوروبي، الذي تصاعد- كما أشرنا قبل قليل- بعد وصول ترامب إلى قمة السلطة في الولايات المتحدة، وحيث تتقدم موجة اليمين المتطرف في القارة الأوروبية، ولا سيما في /فرنسا وألمانيا وهولندا والنمسا/ وفي معظم دولها، فإن التوتر الأخير شكل مناسبة لتظهير هذا الخلاف العميق/ أي الخلاف الحضاري والحقوقي/ بين الطرفين، خاصة أنه توجد في الدول الأوروبية جاليات تركية كبيرة، كما أشرنا في بداية الحديث، تقارب /الأربعة/ ملايين أو أكثر بكثير.

هذا وعلى الرغم من كل ما تقدم من خلافات وتوترات قد تستمر- كما يتوقع العديد من المراقبين السياسيين حتى انتهاء الاستفتاء المقرر في تركيا على الأقل، فإنه من المرجح أن تعود العلاقات بين تركيا وهولندا إلى طبيعتها، نظراً للروابط الاقتصادية القوية لتركيا مع هولندا لمصلحة تركيا إذ ليس من مصلحتها استمرار الخلاف.

في الخلاصة، التصعيد الحالي له أهدافه الانتخابية لدى الطرفين، ولا سيما الطرف الأردوغاني.

بلفور ونكبة أيار ١٩٤٨ غيّرتا وجه المنطقة ومجرى التاريخ

• د. يوسف جاد الحق

لطالما فكر اليهود في شتى أرجاء الأرض، ومنذ أقدم العصور، في الاستيلاء على فلسطين بدعوى كاذبة باطلة مفتراة، هي أنها أرض الله الموعودة لهم. والله هنا هو (يهوه) إله خاص بهم من دون غيرهم من الخلق. وسائر الخلق هؤلاء ما هم سوى عبيد خلقهم الله على شاكلة البشر لكي يتمكنوا من وضعهم في خدمتهم، ومن ثم أطلقوا عليهم لفظ (الجوييم) بمعنى (الأغيار)، الذين يحل لهم سلب ما لهم وجهدهم بل وقتلهم إن شاءوا، وليس لأحد أن يحاسبهم في شأنهم، الأمر الذي نشاهده اليوم بأم أعيننا في فلسطين وغيرها. وبالفعل فإن أحداً لا يحاسبهم على أفاعيلهم، لا محاكم ولا هيأت دولية تتصدى- في العادة- لكل صغيرة وكبيرة في أي مكان من العالم عدا (إسرائيل) أياً ما صنعت بالفلسطينيين وغيرهم من العرب والمسلمين.

•••

في عصرنا الحديث تمكن اليهود من تحقيق حلمهم في الوصول إلى مبتغاهم، فاستولوا على فلسطين وأقاموا فيها. ولا بدَّ من الإشارة هنا إلى أن بريطانيا كانت شريكة للصهيونية في المسألة حيث التقت مصلحتها مع مصلحتهم. كانت تريد إيجاد كيان في المنطقة يفصل ما بين عرب المشرق وعرب المغرب في شمال أفريقيا لكي تتمكن من التحكم في طريق المواصلات إلى جنوب شرق آسيا حيث مستعمراتها في الهند، وكان المنادي بذلك (هنري بنرمان) اليهودي البريطاني في عهد وزارة (بلدوين).

أقاموا دولة أطلقوا عليها اسم (إسرائيل) ولم يحدث ذلك من دون مقدمات بدأت مع أواخر القرن التاسع عشر (هرتزل والدولة اليهودية)، (سايكس بيكو)، (بلفور). وكانت وراء ذلك في البداية، مع اليهودية العالمية بريطانيا، ثم تلتها الولايات المتحدة الأمريكية، ودول غربية معادية للعرب منذ القديم. لن نخوض في هذا الجانب حيث لا يتسع المقام.

•••

وقعت النكبة عام 1948 في 15 أيار منه عندما انسحبت بريطانيا من فلسطين ودخلتها الجيوش العربية من أجل حمايتها من الغزوة اليهودية هذه المرة، ولكنها فشلت في نهاية الأمر، واستولى الصهاينة على معظم البلد، ولم يكن ذلك غريباً ما دام العرب دخلوها بقيادة (الجنرال كلوب) البريطاني، قائد الجيش الأردني في عهد الملك عبد الله بن الحسين..!

وهنا تجلت المهزلة بأبهى صورها، بريطاني يقود الجيوش العربية لتحرير فلسطين، ودولته نفسها هي التي أوصلت فلسطين إلى هذه النتيجة الكارثية، وهي التي هيأتها لذلك وهي نفسها التي سلمتها للصهاينة جاهزة لإقامة كيان لهم.

دخلت المنطقة منذ ذلك التاريخ حقبة ما عرف بالصراع العربي الإسرائيلي، ذلك الصراع الذي غير وجه المنطقة، كما غير مجرى تاريخها عن مساره الطبيعي، فلقد قامت الثورات والانتفاضات والمقاومات، في غير مكان من فلسطين وما حولها. لم تتوقف إحداها حتى تتلوها أخرى، على مدى العقود المنصرمة، ثم وقعت انقلابات هنا وهناك في غير بلد من الوطن العربي، من منطلق أن القائمين عليها سيعملون على تحرير فلسطين وإعادة أهلها إليها. كان من أهمها ثورة مصر بقيادة جمال عبد الناصر عام 1952، وقيام الوحدة إثرها بين مصر وسوريا، ولا نغفل هنا ذكر قيام حركات كثيرة محورها خدمة العدو الإسرائيلي، ومن غاياتها ضرب الوحدة الوليدة، ففصلت ما بين القطرين العربيين الرائدين. ويمكن قول الشيء نفسه عما وقع في العراق أيضاً في تلك الحقبة.

كما قامت في المنطقة حروب ضارية مع العدو الصهيوني وأنصاره، بداياتها كانت في حرب عام 1956 بالعدوان الثلاثي على مصر (بريطانيا- فرنسا- انكلترا)، ثم حرب عام 1967 على سورية ومصر التي عرفت باسم (النكسة) تخفيفاً لوقع ما حدث، وتهويناً من أمره مع أنه لم يكن أقل خراباً ودماراً من نكبة عام 1948. ثم جاءت حرب عام 1973 التي انتصر فيها الجيشان المصري والسوري إلى أن جاء اليهودي الألماني (هنري كيسنجر) الذي استطاع أن يحول الانتصار إلى هزيمة، تمثلت في (اتفاقية كامب ديفيد) مع رئيس مصر أنور السادات على يد عرابها المباشر رئيس أمريكا يومئذ (جيمي كارتر) من أجل عزلها عن محيطها وتحييدها في مسألة الصراع القائمة مع العدو الإسرائيلي، وهو ما حدث بالفعل. أبرز مظاهر هذه الحقبة الطويلة من الزمن كانت الاعتداءات الإسرائيلية المتواصلة واليومية على الفلسطينيين، ومن حين لآخر على البلدان العربية المحيطة بها، التي عرفت بـ (دول الطوق).

ظهرت في هذه الأثناء المقاومة الفلسطينية وكذلك اللبنانية منذ الستينيات وحتى الساعة. ولما عجز الصهاينة، ومن معهم، عن هزيمة المقاومة، وعن زحزحة سوريا (الداعمة الرئيسة للمقاومة والمتبنية لها) عمدت إلى إثارة ما سمي (بالربيع العربي) تحت عناوين خادعة، أمست معروفة اليوم، أسفرت عن خراب شبه عام، ومآس لا حصر لها ولا مثيل من قبل، تمثلت في حشود إرهابية غريبة وفدت من كل حدب وصوب، وكان المحرك لها عميل الصهيونية والاستعمار الغربي المدعو (هنري برنار ليفي)، وهو ما تعيش المنطقة العربية المحيطة بإسرائيل، وعدد من دول شمال إفريقيا كليبيا، وتونس، وإلى حد ما الجزائر، آثاره وويلاته على صعيد الأرض والبشر. إضافة إلى ما جلب من عداء للإسلام. بأعمالهم الإجرامية التي ينسبونها إلى الدين الحنيف، الذي هو أول من يبرأ منهم، ومما يزرون باسمه. ومما لا ريب فيه أن للعدو الإسرائيلي- ومعه الأمريكي والبريطاني- اليد الطولى في هذا كله، لا لشيء إلا ابتغاء حماية ذلك الوجود الهجين، والتمكين له في ديارنا إلى ما لا نهاية، لو استطاعوا.

•••

كان من أهم النتائج التي ترتبت على ذلك الوجود الصهيوني في المنطقة، إضافة لما ذكر، شلل التفكير السياسي العربي، وانشغاله شبه الكلي لمقاومته والتصدي له، من جهة، وانصرافه من جهة أخرى، عما كان ينبغي أن ينصرف للعمل عليه من تنمية، وتطوير للبلاد وأهلها، ومواكبة حياة البشرية المعاصرة. ذلك كله ما كان له أن يحدث لو لم يقم لليهود الصهاينة هذا الكيان الغريب على أرض فلسطين.

لنتصور كيف كان ممكناً أن يكون عليه حال المنطقة لو لم تكن هنا هذه (الإسرائيل). لابد أننا كنا سنعيش- عرباً ومسلمين وغيرهم- في ظلال سلام حقيقي شامل، وسيادة للعدل، ووفرة خيرونماء، وتوفير لدماء أعداد هائلة تتجاوز الملايين من الشهداء والمطلوبين، فضلاً عن ذراريهم التي كان مقدراً لها لو لم نغادر عالمنا أن تواصل حياتها لتعطي وتبني وتنتج..

أي صورة مشرقة مبهرة كان يمكن أن تكون عليه اليوم صورة واقعنا.. ذاك الذي مضى. بلى لقد خسرنا الكثير الكثير مما لا يحيط به وصف ولا يرصده إحصاء على أيدي الجناة من أعدائنا صهاينة واستعماريين، على مدى قرن من عمر الزمان. فهل لنا أن نأمل بحلول غدٍ أفضل يكسر القيود، ويزيل الحدود، وينجز السلام الحقيقي الشامل العادل في نهاية المطاف..؟

نقطة على حرف

• أ.مالك صقور

الشهداء..

قبل مئة عام وعام..

ارتقى شهداء السادس من أيار في دمشق وبيروت، ومن قبل في القدس.

والعبرة اليوم، بعد مئة عام وعام، هل يكتفى بأن نتذكر فرادى أو بالصحافة المرئية أو المقروءة، أو المسموعة، تضحية هؤلاء الرجال الأبطال الميامين، الذين كانوا من الرواد الأوائل السابقين لدق الأجراس، وحمل الراية من أجل طرد المستعمر التركي الغاشم وبناء وتأسيس الدولة العربية...

والأهم من هذا كله، إن هؤلاء الشهداء هم أول من دقّ ناقوس الخطر ـ الخطر الداهم القادم من الصهيونية على العرب ولا سيما على فلسطين، وهذا ما كان.

•••

في كتابه: مملكة الشيطان، يذكر الدكتور وديع بشور نداء بنيامين فرانكلين عند وضع دستور الولايات المتحدة عام 1789 ومما جاء فيه: «أيها السادة في كل أرض حل بها اليهود أطاحوا بالمستوى الخلقي وأفسدوا الذمة التجارية. إنهم طفيليات لا يعيش بعضهم على بعض. ولابدّ لهم من العيش بين المسيحيين وغيرهم ممن لا ينتمون إلى عرقهم...»

«إذا لم يبعد هؤلاء من الولايات المتحدة بنص دستورها فإن سيلهم سيتدفق إلى الولايات المتحدة في غضون مئة عام إلى حد يقدرون معه أن يحكموا شعبنا ويدمروه ويغيّروا شكل الحكم الذي بذلنا في سبيله دماءنا وضحينا بأرواحنا وممتلكاتنا وحرياتنا الفردية، ولن تمضي مئتا سنة حتى يكون مصير أحفادنا أن يعملوا في الحقول لإطعام اليهود على حين يظل اليهودي في البيوتات المالية يفركون أيديهم مغتبطين»...

...«إني أحذركم أيها السادة إنكم إنْ لم تبعدوا اليهود نهائياً فلسوف يلعنكم أبناؤكم وأحفادكم في قبورهم»(1).

ويستطرد د.وديع بشور قائلاً: "والحركات السرية التي تخطط في الظلام تكشف في بعض الأحيان من سير الأحداث المترابطة أي التي هناك ما يدّل أنها لم تحدث عشوائياً بل ترتبط بمخطط ما. وهنا على الواعين المتربصين بالأحداث أن يقدروها ويستدلوا على أصحابها. وبما أن تنفيذ المخططات لابدّ له من تضحيات بشرية ومادية كبيرة يجب البحث دائماً عن سلاطين المال وأصحاب المصالح الكبرى الذين يخططون للعالم ويؤلفون الجمعيات السرية ويحكمون تنظيمها وتمويلها، وكثيراً ما تكون أقوى من الحكومات بل تسيطر عليها بشراء ضمائر العناصر الفاسدة فيها وفي مؤسساتها.

وقد انطلق شيريب سبيريدوفيتش في كتابه "حكومة العالم الخفية".. من قناعة كاملة بوجود هيئة يهودية لها صفة عالمية قدر عدد أفرادها في أوائل القرن العشرين بثلاثمئة رجل يهودي يرأسهم أحدهم نظامهم ديكتاتوري استبدادي ويعملون وفق خطة قديمة مرسومة للسيطرة على العالم. فهم عبارة عن حكومة خفية تحكم الشعوب بواسطة عملائهما ويمكنها إيصال أي "حقير" إلى الزعامة وقمة المسؤولية وتحطيم أي قائد حينما تشاء"(2).

ماذا أسقط الصهاينة السلطان عبد الحميد؟

من المعروف، بعد مؤتمر "بال" في شهر آب 1897، تم القرار: إن غاية الصهيونية هي خلق وطن للشعب اليهودي في فلسطين... وكان هيرتزل هذا الناشط الصهيوني، والماهر والمحنك والشاطر الذي انتخب رئيساً للمؤتمر، وراح هذا الصهيوني الماكر الخبيث يجوب العالم شرقه وغربه عارضاً قضية اليهود ومآسيهم، مدافعاً عن حقوقهم، لقد طرق هيرتزل جميع الأبواب، وخاصة أبواب قادة الدول الكبار والساسة الذين بيدهم القرار، والذين كانت على موائدهم خرائط الأمم وفي جيوبهم مفاتيح الحرب والسلم. وكل هؤلاء، ساعدوا هرتزل، وأخيراً، ثم طرق الباب العالي، أي تم العرق على السلطان عبد الحميد.

وكان الاتصال به عن طريق وسيط يدعى "شيفاليد دي نيولسكي ـ كما يقول هيرتزل نفسه".

«فاتح السلطان عبد الحميد بالأمر وطلب منه منح اليهود بعض الأراضي في فلسطين لإنشاء مستوطنة مستقلة على نمط جمهورية فينيا:

فكان الرد القطعي الآتي:

انصحوا هيرتزل بأن يحجم عن أية خطوة أخرى في هذا الموضوع لأني لا أستطيع أن أفرّط بقدم مربعة واحدة من الأرض لأنها ليست ملكي وإنما هي ملك الشعب الذي قاتل من أجلها وهي معجونة بدمه.

ليحتفظ اليهود بملايينهم (عرضوا على السلطان عبد الحميد مئة وخمسين مليون ليرة ذهبية) فإذا قدر لمملكتي أن تتبدد، فعندئذ قد يحصلون على أرض فلسطين مجاناً أما قطع شبر من أرضنا فهو بمثابة قطع قطعة من اللحم من جسمنا" كما ويوضح السلطان عبد الحميد في رسالة جوابية للشيخ محمود أبو الشامات ـ شيخ الطريقة الشاذلية:

«بعد تقبيل يديك أوضح ما يلي:

«لم أتخل عن الخلافة لسبب ما سوى إنني بسبب المضايقة من رؤساء جمعية الاتحاد المعروفة باسم «جون تورك» وتهديدهم اضطررت وأجبرت على ترك الخلافة...

إن هؤلاء الاتحاديين قد أصرّوا عليّ أن أصادق على تأسيس وطن قومي لليهود في الأرض المقدسة ـ فلسطين. وبرغم إصرارهم فلم أقبل بصورة قطعية هذا التكليف. وأخيراً، وعدوا بتقديم مئة وخمسين مليون ليرة ذهبية إنكليزية، فرفضت ذلك بصورة قطعية وكان ردّي الحاسم هو الآتي:

إنكم لو دفعتم ملئ الدنيا ذهباً فضلاً عن المئة وخمسين مليون ليرة ذهبية فلن أقبل بتكليفكم هذا بوجه قطعي.

لقد خدمت المله الإسلامية والأمة المحمدية ما يزيد على ثلاثين سنة فلن أسوّد صحائف المسلمين لهذا لن أقبل بتكليفكم.

وبعد جوابي القطعي اتفقوا على خلعي وأبلغوني أنهم سيبعدونني إلى سلانيك".

لقد جئت بهذا المثال، مثال الصهاينة والسلطان عبد الحميد لأمرين:

الأمر الأول: إن الصهيونية تطارد وتلاحق وتقتل كل من يقف في وجه مخططاتها. وشهداء السادس من أيار كانوا هم، أول وعي الخطر الصهيوني على العرب وعلى فلسطين.

الأمر الثاني: إن حكام تركيا، وبالأحرى، حاكم تركيا الحالي، قد حفظ الدرس، درس الصهيونية ولذلك تجده متحالفاً مع الكيان الصهيوني، وللأسف، وجد من يناصره، لأن حزبه حزب الأخوان لا تهمه فلسطين.

من هنا، كان تأكيدي على استيعاب درس التاريخ، والتاريخ هذا الذي بين أيدينا، إن لم يكن للفائدة، والعبرة، فما نفعه؟!

•••

قبل مئة عام وعام،

ارتقى هؤلاء الشهداء.

وهؤلاء الشهداء، لم يكونوا أناساً عاديين، كانوا من المثقفين المتنورين النهضويين الوطنيين، كان منهم الكاتب والشاعر والصحفي، والمسرحي. والأهم: أنهم وطنيون بامتياز حتى النخاع، كان بإمكانهم أن يهربوا. لكن هؤلاء الأبطال في دمشق وبيروت الذين رفعوا راية الوطن، أثبتوا بالبرهان والدليل أن الراية يجب أن تبقى مرفوعة، وأن أناساً، أبطالاً، بشراً من لحم ودم وعظم لهم أهل وأولاد، لكنهم منذورون لنداء هذا الوطن، وكأن الشاعر الكبير ناظم حكمت الذي عانى من ويلات ظلم بلاده وقمعه واستبداده، يعبّر بلسان كل من هؤلاء الأبطال ـ المنارات السامقة الشاهقة:

إن لم احترق أنا

وتحترق أنت

ونحترق نحن

فمن ذا الذي

ينير هذه الظلمات

نعم

هذا لسان حال أبطال السادس من أيار عام 1916، في دمشق، وبيروت، وقبلهم في القدس.

والعبرة اليوم، بعد مئة عام وعام، أن نقف إجلالاً وإكباراً، وتقديراً، واحتراقاً على تلك المآثر التي اجترحها هؤلاء الميامين الأبطال الأشاوس، هذا أولاً. وثانياً: أن نستلهم السر العظيم الذي قادهم إلى الفداء ـ هذا الفداء المستمر من هذه اللحظة.

فتاريخ هذه الأمة، وتاريخ هذا الشعب الطيب المعطاء العظيم، مثله، مثل كل شعب تواق ليجد له موضع قدم تحت الشمس، وهؤلاء الأبطال، أبطال السادس من أيار مثلهم مثل عشرات الملايين، الذين قالوا كلمتهم، وثبتوا على موقفهم، ومن ثم عانقوا الموت على شرف ما قالوا..

مقاصد الشعر.. أرباح!

• محمد خالد عمر

بسبع وعشرين قصيدة أعلنت الشاعرة حباب بدوي عن مشروعها الشعري الفكري، انطلقت به مُقرّرة ألا بدّ من غار ثور، هذا التركيب الدلالي جاءت به شاعرتنا عنواناً لمجموعتها الشعرية، وهو في الوقت عينه عنوان لقصيدة تناغمت مع النور المنبعث إلى فضاء الوجود، يغمر الأرض، ويسمو للسماء، نور بدأ إشراقه في غار حراء، وانبعث ولادة كمشروع مكتمل. نعم خرج الإسلام مشروعاً مكتملاً، يسير بخطاً ثابتة نحو حَمَلته المنتظرين في المدينة المنوّرة، لتبدأ رحلة تكوين الأمة براية العرب مادتها الأولى، وروحها رسالة الحب، والسلام والإيثار، بعد أن أراد أعداؤه دفنه في الغار.

أهدت الشاعرة عملها إلى اللّا أحد، وهي تعني إهداءه لكلّ أحد يستحقه، أو يستطيع حمل مسؤوليته، وهي تعرف تماماً مسؤولية مشروعها الشعري الفلسفي الناهض الذي بَدَأتْه برسالتها الشعرية، المتّكئة على جذر عقدي، وتاريخ حافل بما ينبغي أن يكون. تبدأ الشاعرة مجموعتها بابتهال حافل بعبق روحي المنشأ ينطلق من رحلة عذابات النبي يوسف، المحفوفة بالمخاطر، التي تواجه ظلم الأخوة الذين عبروا من وهم قميص التخلص من عقبة الإخلاص بعد أن رأوها عائقاً مهمّاً؛ ولكنّ وهمهم بالخلاص أوقعهم في خسارة الرهان. غير أنّ الألم الذي أوجع الشاعرة إلى حدود الشعر لم يحلْ دون الحبّ فبدأت الشاعرة رحلتها بالتضرع إلى الله مسامحة من ظلمها، وهذه من أخلاق الكبار، ومنهج الأخيار. تقول الشاعرة :ربّاه سامح أخوتي عبروا سراعاً في شعاب العمر يوهمهم قميصي باشتعال الجمر في دربي وتبعث ظلمتي في خطوهم فرحاً، وما عرفوا بأنّي قد كسبت رهان دهري. هذا الأمل بكسب الرهان جعل الشاعرة تبدأ بمسامحة أخوة لها نَزَو إلى إشعال الجمر في الدرب، غير أنّ الجمر أضحى نورها الحاني، وقد أحاط بهم لظاه وظلمته التي صنّعوها فعموا عن دروبهم، وغمّت قلوبهم حتى أضاعوا الخطو في درب الكماة، وبظنّهم أنهم أغلقوا على أخيهم كل منافذ النجاة. هذا الابتهال البادئ بالمناجاة أول ما تطالعك به المجموعة، صحيح أنّ الدرب أدخل صاحب المحنة في شعوره بالضعف أمام جموع الأعداء لكنّ الصحيح أنّه فتح له باب الرجاء والخلاص بنجوم الحكمة والمعرفة التي ستردّ على سهام الليل بدرع مؤمن أنّ الحقّ لا بد أن يظهر في السلوك .فيا أيتها الشاعرة التي أعرف منها مجموعتها؛ رصيدُنا جميعاً محبةُ الدين، ودينُ المحبة، ونبعُ خلق عربي قويم يحمي الظعينة، ويجبر عثرات الكرام. فمن أغنى من إنسان سداه المحبة، ولحمته قيمية تأخذ بيده إلى الحرية والاحترام؟ ومن أقدر من الشعر ذلك العذاب العذب، والهاجس المحبّب على عبور التاريخ ورسم حدود المستقبل. وتذكيرنا برصيدنا الذي نسيناه أو ركنّاه.

إنّ أكثر ما يلفتك في مجموعة الشاعرة "حباب" أنّها أدركت رسالتها، وعرفت وظيفة شعْرها وفي الوقت عينه عرفت أنّ الرسالة حَتّى تقوم بوظيفتها لا بد أن تعبر عن هويتها، ولا يمكن أن تعبّر عن هويّتها إلا إذا انطلقت الرسالة حاملة محليتها تعلن للملأ هذي ... أنا، وهذه مدينتي بأزقتها ورائحة عبق المكان والريحان والإنسان. هذي أنا حتى وأنا بعيدة في المكان فبيت جدّي يسكنني، ورائحة شذاه تريح أعصابي من متاعب العمر، وتهدي إليّ الهدوء والسكينة. من أجل ذلك احتضنت الشاعرة بيئتها المحلّية بحب المتيّم، وخاطبتها بدفء العاشق الذي لا يستطيع أن يسهو عن تفاصيل معشوقته قالت:

ووقفتُ يا جسر الهوا بالباب
أرصدُ ما تبقّى من حكايات السنين
أمضي إلى ناعورة تذرو رذاذَ الماء أغنية
ترتل في مساء النَهر بهجة عطرها
تدعو نداماها لرشف مفاتن الكلمات.
في أسرارها تحنو على طين الضفاف
تبثه شوقاً يخامر ليلها
وتدور أتعبها المسير.

فجسر الهوى وبابه شاهدان على ودّها لمدينة ضمّت طفولتها قبل أن تنساها في ردهات الزمن، فالجسر والناعورة الثكلى التي تعمل ليل نهار تئنّ، ولا تشتكي، ترجع أغنيات الزمن رذاذاً، تفرح به النفوس قبل أن يفرح الزهر، وتأتلق قلوبُ الندامى قبل العطر، فتصوّر القصائد تفاصيل نقاط العلام في مدينة إن لم تتفرّد في جسر الهوى فقد تفرّدت بالهوى وناعورته فدخلته من أوسع أبوابه، فحتى لو أنّ القارئ لم يعرف مدينة حماة، ولا جسر الهوا، ولا بابه، يكفي أن يسمع شاعرتنا تردّد عنين ناعورتها في أكثر قصائدها تحدّد فيها هويّة الحبّ وبوصلته حماة .لذلك تراها تعود بعد صفحة واحدة من المثال الأول، وفي القصيدة نفسها تتأوه على الجسر العتيق وحيّه المنسيّ، وألعاب الطفولة بعد أن عَدَتْ عليها كل هذه السنوات المحملة بغبار البؤس وصخب الحياة. تقول الشاعرة:

آه على الجسر العتيق.
وحَيّه المنسيّ في ردهات دهر بائس
أمسى وأيام الطفولة في غيابات السنين.

شاعرتنا بكل تفاصيل البيئية الحموية والصور الفنية الصوفية التي توزّعت نجوماً في سماء ليلة صيفية القسمات، يجري تحتها نهر الحبور رافعاً في كفّه ناعورة الحبّ العتيقة التي تفيض بجرارها ماء نميرا. تقول الكاتبة في واحدة من أجمل صور الديوان:

هو نهر من بهاء وحبور

> أدركت رسالتها، وعرفت وظيفة شعْرها وفي الوقت عينه عرفَت أنّ الرسالة حتى تقوم بوظيفتها لا بد أن تعبر عن هويتها.

> تنادي اخضرار الزمان، ولما مرّ سريعاً تستلّ رمحها وسيفها وتشدّ ركاب خيلها، وتنطلق إلى بيدائها تزهو بمفردات ورثتها عن المتنبي.

كلما أصغى لصوتي صفّقت في يده ناعورة
تعرف أني قد شربت النور من صبح
تدلّى في مياه النهر يخفي سرّه.

وفي قصيدة سراب المسافات تقبل التحدّي تنادي اخضرار الزمان، ولما مرّ سريعاً تستلّ رمحها وسيفها وتشدّ ركاب خيلها، وتنطلق إلى بيدائها تزهو بمفردات ورثتها عن المتنبي، وعندما تتجاوز عن بقية المفردات فلأنّها في حالة استنفار لاسترجاع اخضرار الزمن. تقول:

وفي القصيدة تستريح المسافات
ترمي على كاهل الدهر وزر المشقة
تدني إليّ جرار الكلمات.

وهنا تتقاطع الشاعرة مع جراري في مجموعة صدّرتها عام 2008م بعنوان «جرار الكلمات» فتشرب صديقتي من جرارها من دون أن تكسرها، كما فعلت في نهاية القصيدة تتساءل إذا ما ظمئت هل سينداح اليأس ويولد الأمل؟

يدي في بقايا زماني إلى النهر ممدودة
تسأل الماء عن خضرة تغسل اليأس عن
نبض صوتي
وتمضي مباعدة جمره عن جبيني
فهل يستفيق إذا ما شربت من النهر دمعي؟
وهل إن ظمئتُ سينداح يأسي ليكسر هذي
الجرار.

ولأنّ صديقتنا تبحث عن نفسها، تتجذّر في البيئة، ولأنها تبحث عن أمل يضيء ظلمة مسالك شرفاتها تتردّد مفردة "الغياب، واليأس"، وكلتا المفردتين تلتقي بدروبهما، فاليأس غربة وغياب، والغربة يأس مريع، إلا أنها عندما تعود لمحليتها "النهر الناعورة، الجسر، والحي، تسترجع التوازن الذي ألفتْهُ. وما تفتأ ترجع إلى ظلام الجب تنادي لقافلة النجاة، وكما لكل ولادة كبيرة رحمٌ معتم صعب، فمن الجب انطلق النبي يوسف عليه السلام إلى مرتبة العزة "عزيز مصر" عبر قافلة، وصحب ثقات، فرحين به " يا بشراي هذا غلام. إذاً عتمة الجب ووحشته جاءتا بالفرج، ومن المغارة خرجت مريم وابنها عليهما السلام كبياض الثلج يمسحان دمعة المظلومين، ومن غار ثور رحم ولادة الرسالة كانطلاقة واثقة من ظلمة ضعف الحيلة، وقلق الخوف وأمل الرجاء، وصدق الصحبة، إلى أمة العقيدة، وعقيدة الأمة في إعمار

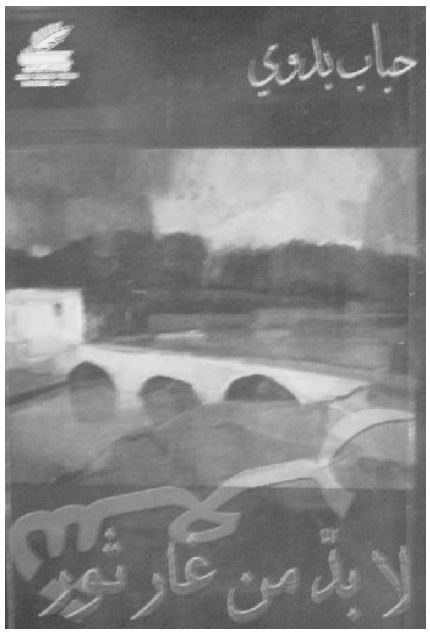

الأرض بالمحبّة والإيثار وسمو الإنسان.

من لي بغار إن أويت إليه يحميني
فأنسج من سكينته ضياء
أحتمي ببهائه في زحمة الدنيا
وأرمي من مشارفه حقائب غربتي.

نعم يشرق النور عبر قافلة الصحبة والصدق إلى مرتبة تكوين الأمة ككل ولادة لا بد لها من رحم، فالفجر يسكن رحم الليل، ثم يشرق إصباحاً ينير بشعاعه الدنيا. يقول آرنست هيمنغواي: إنّ الليل في أشد ظلمته يأتي بفجر قريب".

فمن أين نأتي بانبلاج الصبح في هذا الغسق
فجر يجدّدنا، وينتشلنا من التعفّن والضياع.

"بلد يباع"

فمن لي بفجر يبدّد عتمة الدرب
ويجلو صدا النفس
ويحدو الركب يحملني إلى أفق التفاؤل
والارتقاء.

وهنا يحضرني تساؤل. هل يمكن أن يكون الصمت رحماً للأفكار الجديدة، كما الليل رحم الصباحات النديّة؟ أعتقد أنّ الجواب هنا بال «نعم»، فالعاقل ينسج من صمته بردة تقيه صقيع الواقع، يفجّر فكرته بعد نضجها في وكنات التفكير، فتنبثق الحروف بأسراب من الكلمات، حيث تقودنا خلوة الصمت إلى فترة حمل المعرفة فيولد مشروعاً كرمح الضحى يمتشق النور فينداح الظلام.

ما أجمل الصمت عندما تنحسر الغلالة عن فلسفة الحكمة! فنعرف أين نضع قدم الثبات؟ وكيف تكون وثبة الانطلاق؟ وهكذا تمضي الشاعرة بنا بمركبها في رحلة حيث يتوقف قطارها في محطتين أنثويتين هامتين: محطة النسك والحب والفناء في المحبوب عند رابعة العدوية، تحبّ للحبّ لا خوفاً ولا طمعا. ومحطة أخرى تنبض بالجرأة والرجولة والعزيمة والمودّة؛ محطة السيدة أسماء بنت أبي بكر الصدّيق رضي الله عنهما. تنادي الرجل الذي سيحقق الحلم، إذا ما كانت الدنيا بكلتا يديها نبعاً للعطاء والصدق والتفاني، فمن الفناء إلى التفاني، ومن التفاني إلى الفناء في بناء شامخ، ثابت الأركان لبناء صرح الحضارة الإنسانية الواحدة بمحورية الإنسان وفاعليته لعمّر الأرض، ويبني مجد الله في قلوب عامرة بالصدق والإخلاص.

/أي/

• أ.د. منى الياس

قال جميل:

بثينَ ، الزمي لا، إنّ لا، إن لَزِمْتِه
على كثرة الواشين أيُّ مَعَوَنِ

تأتي (أي) استفهامية و شرطية و موصولة، وتستعمل وصلة لنداء ما فيه (أل) مهما يكن جنس المنادى و عددُه.

قيل للخليل: (أيهما أفضل العلم أم المال؟ قال : العلم) و العرب تستعمل في هذا المقام العبارة التالية «أيُّما أفضل : العلم أم المال» فهل عبارة الخليل : أيهما أفضل العلم أم المال خطأ . كلتا العبارتين جائزة ، فأيّ هنا استفهامية و يجب أن تكون مضافة معنى، أي منقطعة عن الإضافة اللفظية أو معنى ولفظاً معاً ، و أي هنا مضافة معنى و ليست مضافة لفظاً إلى «ما» كالحلية و الطرفة للتوسع في التعبير، وكان يمكن أن نقول: أيُّ أفضل العلم أم المال؟ فما الجديد في قولنا «أيهما» هنا؟ . الجديد هو إضافة «أي» لفظاً إلى الضمير «هما» يرى بعض النحاة أن الضمير هنا يعود على متأخر، و هذا الموضع ليس من المواضع التي يجوز عود الضمير فيها على متأخر، فهم لم يجدوا لها شاهداً فصيحاً وردت فيه مثل هذه العبارة ، كما أنهم لم يجدوا لها منفذاً لغوياً.

أما الشواهد فحسبنا منها كلمة للنبي (ص) قالها عقب فتح خيبر وقد عاد ابن عمه جعفر بن أبي طالب و آخرون إلى المدينة ، وكانوا قد هاجروا إلى الحبشة، وقد نقلها ابن هشام في سيرته و الكلمة يومئذ: «ما أدري بأيُّهما أنا أسَرُّ : بفتح خيبر أم بقدوم جعفر؟» و في نهج البلاغة للإمام علي أنه سُئل أيُّهما أفضل: العدل أم الجود؟

وفي الأمالي للقالي أنه ذُكر عن عمر بن الخطاب: «أيهما أطيب: العنب أم الرطب؟» فأرسل عمر إلى خبير بالفواكه (أبي خيمة) وسأله: أيهما أطيب: الرطب أم العنب؟ ففضل الرطب. وهنا أكثر من منفذ لصحة العبارة ، و الأوسع و الأقرب منفذ بلاغي و هو الإغماض فالإيضاح، أو الإجمال فالتفضيل. فالغموض يثير في النفوس الشوق إلى المحتجب وراءه، و يغريه بالتطلع إليه. وظهور الشيء بعد غموضه أوقع في الفكر و الشعور فيأتي الضمير في عباراتها سابقاً لما يدل عليه فيثير الشوق و التطلع إليه.

كما جاء في قوله تعالى: (ثم استوى إلى السماء فسوّاهن سبع سماوات) . فالضمير هنا في الآية يعود على ما بعده لا ما قبله و هو السماء. وكذلك قول الشاعر :

كسا حلمه ذا الحلم أثواب سؤدد ... ورفى نداه ذا الندى في ذرى المجد

إذن فسواء ظهر الضمير كما في أيّهما أم لم يظهر كما في أي . و لهذا نقول : أيّما أفضل العلم أم المال، أو نقول: أيهما أفضل، أو أيّ أفضل و كلها صحيحة قال الشاعر :

إذا ما أتيت بني مالكٍ
فسلِّم على أيُّهم أفضلُ

• د.حسن حميد

الغابة.. أيضاً!

بلى،

هذا الكتاب الجليل المشبع بسحر الأدب، وبحوامل الحياة كلها في تلك الأزمنة المنسوبة إلى القرن الثالث عشر، من حياة العرب، أعني (ألف ليلة وليلة)، زلّته الأيدي الخشنة، والقلوب القاسية، فأعدمته لأنها ما عدته من الكتب الثقيلة الراجحة أمام ما كان يصدر من مؤلفات وكتابات انشغلت باللغة وبلاغتها، والشعر وأغراضه وأوزانه، والخطابة وفنونها، والتأويل والاجتهاد وما صاحبها، والترجمات ...واللغات الآتية منها، وعلوم الفلك وأسرارها ومما زاد في ترذيل ما في الكتاب من موضوعات، وأقوال، وأخبار، وأحداث أن حكاياته وقصصه راحت تقصّ على الناس (وهم مجتمع ذكوري) صرف في المقاهي، ولم يتنبه الجلّاس الحضور الذين يستمعون لقصص (ألف ليلة وليلة) ويهتموا إلا بما كان يقال عن المرأة ومغامراتها، والمرأة والأمكنة التي عرفتها حين صارت زوجة أو محظية أو عاشقة لأحد من أهل المكانة والرتب (القادة، الأمراء، الولاة، الوزَراء، أهل الجاه الاجتماعي، وأهل المال)، والمرأة وما وصلت إليه من معارف وعلوم في اللغة، والشعر، والفلك، وحفظ القرآن والأحاديث النبوية، ولذلك ألصقت بالمرأة صفات وأخبار وقصص كلها أرادت الحط من شأنها، وإلحاق الأذى بها كرامةً وكبرياءً، والحق أن طقس الحكايات في المدن الكبيرة ذات المناخ الحار، كان طقساً ليلياً وذكورياً وجهةً للجرأة على الرغم من أن العيون الرقيبة (من العسس والبصاصين) كانت حاضرة بقوة، على نحو مكشوف وسري في آن، وقد كانت أخبار المقاهي تنقل إلى أولي الأمر، وهؤلاء كانوا يسرون كثيراً حين كانوا يرون انصراف الناس إلى أمور بعيدة عن دوائر السلطان السياسي وتفرعاته، وبعيدة عن المساس بهيبة السلطان الديني وشؤونه، وبعيدة عن التعرض للأعراض والعائلات المعروفة في المدينة ولهذا أمعن الحكواتي الذي يقصّ الليالي في الابتعاد عن دوائر الخطر، ولا سيما الخطر الكامن في البعد السياسي، والبعد الديني، والبعد المتعلق بالأعراض والشرف، أي المتعلق بالمرأة المعروفة باسمها واسم عائلتها. لذلك كان التغريب في الأحداث، والأسماء، والأخبار كثيراً ومتعدد الصور في الليالي، طلباً للتعمية، وربما تكون القصص وأحداثها معروفة في المدن العربية الكبرى حين تتعلق بأخبار الحكام من قادة، وأمراء، وولاة.. وقد يأخذها الحكواتي ولكي يعمل على تغريبها مكاناً وزمناً وتسمية عبر تعديلات وتحويرات تطال كل شيء فيها.. المكان والزمان والأسماء ولعل ما كان يريح جمهور المقاهي الحضور ويتمنون الاستماع إليه، هو الحديث الذي يشمل المرأة ومغامراتها، وقدرتها الساحرة على الإيقاع بأهل الحكم من جهة (قادرة، وزراء، ولاة)، وأهل الدين (الشيوخ، الدعاة، القضاة)، وأهل الجاه والمال (الوجهاء، التجار) من جهة ثانية لأن المرأة، وعبر علاقاتها معهم، تمتلك سحرها الخاص الذي يصورهم على حقيقتهم، فتبدي نقائصهم، وما يؤمنون، وما يسعون إليه بعيداً عن صورتهم النمطية العامة، بقولة أخرى، المرأة ومن خلال علاقاتها مع هؤلاء تعيدهم إلى حقيقتهم، فتكشف ضعفهم، مثلما تكشف حالات الهيلمان التي يبدون عليها ووفقها حين يكونون في مهامهم الرسمية، ولعل من أسباب ذلك الارتياح أن قصص (ألف ليلة وليلة) كانت تشكل نوافذ لتنسم الهواء الجديد، وافتكاك الأرواح من قبضة دوائر القوة والسلطة، ولهذا كانت السخرية حاضرة في جل لقاءات المرأة الذكية التي تواعد أهل القوة، والأمر، والسلطان، والجاه، والعقيدة ولا تأتي، أو قل تتدلل عليهم، فهي، وفي جل لقاءاتها معهم تكون متطلبة، تظل تطلب وتطلب منهم الأمور الكثيرة، فتحقق رغباتها عندهم، مثلما يحققون رغباتهم عندها، وهم لا يطمعون إلا بجسدها، بينما هي طامعة بكل ما لديهم من نفوذ، ومال، وجاه! لذلك صوّرتهم حكايات (ألف ليلة وليلة) على غير ما يحبون، وعبر مشاهد مضحكة والحق أن طريقة القص، والتعابير الشعبية المتداولة التي كانت تموج داخل الحكايات، والأسلوب البسيط البعيدة عن مراعاة قواعد اللغة العربية، وقد كانت اللغة في تلك الأزمنة، في أحسن حالاتها نشوراً، كلها أسهمت في تحييد الليالي وزلّها بعيداً عن الثقافة الرسمية، وأعني بالرسمية، أن من يقوم بنسخ الكتب، لم يسع إلى ذلك لأن ما من أحد دفع إليه بحكايات (ألف ليلة وليلة) لكي ينسخها لتصير متداولة بين أيدي الناس، وأعني بـ (الدفع) هنا أن أولي الأمر، وأصحاب المقدرة المالية، وأهل الثقافة.. جميعهم تعاونوا على زلّ الليالي من أي حساب أو تقدير، لذلك بقيت بعيدة عن أقلام النسّاخ، ومن قام بنسخها آنذاك هم الحكواتية أنفسهم، لكي يسمروا بها في ليالي بغداد، أو دمشق، أو القاهرة، أو القدس، وبذلك كانت نسخ الليالي قليلة جداً، وتكاد تكون خاصية الحكواتية وحدهم، ولذلك عُرف كل واحد منهم بنسخته التي أكدت أسلوبه وطريقته في القص ومع أن الحكواتية لم يكونوا علماء اجتماع، فإن عرضهم للحياة الاجتماعية لذلك العصر كان حاضراً وممتداً بقوة واتساع داخل تضاعيف الحكايات.. لأنهم هم من أخبرنا بالمدارس وما كانت تدرّسه، والزوايا وما تعلّمه، ومجالس العلماء وما يُدار فيها، وحالات الخروج الليلي المتخفي للحكام وأولي الأمر وما كان يدور في أذهانهم، والمقاصد التي كانوا يرومونها، والأمكنة التي يأوون إليها والرغائب التي كانوا يحبذونها، والمفاجآت التي كانت تواجههم عند احتكاكهم بالعامة، كأن يتحدث صعلوك سكير مع هارون الرشيد المتخفي ليلاً، فيقول له إنه صديق مقرب جداً من هارون الرشيد، وأنه يقاسمه طعامه، وألعابه، ومغامراته أيضاً، وأنه مستعد لمساعدته إن أراد شيئاً من هارون الرشيد صديقه

لقد قام الحكواتية، وعبر الليالي، بصنيع معرفي نادر حين أبدوا لنا المجتمع من جميع زواياه وصوره، وبذلك، ربح غنى مهم من الناحية الاجتماعية بين تضاعيف الليالي، فالحديث عن الأسواق وأنواعها، وناسها والمشتغلين بها، والبضائع المعروضة وأمكنة استيرادها، وأهل الصنعة وما يعملون عليه، وعديد الناس في المصانع، وما ينتج من سلع، وأجور العمال، وساعات العمل، وطرق التجارة، وما يفعله العيارون والشطار... كل هذه المعلومات منحت الليالي بعداً اجتماعياً معنياً بالحال الاقتصادية التي عاشها الناس آنذاك! وهذا للأسف لم يتنبّه إليه من قرأ (ألف ليلة وليلة) حين توقف عند المرأة ومغامراتها، فقيل عن الكتاب بأنه اجتماع لمغامرات المرأة، أو قل خياناتها، وهذا ليس سوى راق أولي أبدته الليالي، ومن يكتفي بالأولي، مثل من يظن، حين يرى الشطآن للمرة الأولى، أن البحر زبدٌ فحسب!

▪ Hasanhamid55@yahoo.com

على هامش الأمل
قراءة في "حين اعتزلت الغناء" لفاتن ديركي

• عدنان كنفاني

أيّ وجع هذا.؟
ماذا فعلَت هذه الحرب الظالمة المجنونة بنا؟
وإلى أيٍّ مدى أوغلت فينا تقطيعا وتمزيقا ونحن نعيش غرابة الأحداث، نصحو ذات فجأة على وقع قذيفة أو خبر موت، أو مجرى دماء فنتساءل، هل نحن من نفعل بأنفسنا كل هذا الجنون؟ ولماذا؟

في لحظات عبثية تتبدل الأشياء والصفات لتجنح إلى غرائب يكاد لا يصدقها عقل ولا منطق، ينظر إليها من يملك طيف ضمير، فيشعر بحجم الخيبة التي تُفقده حتى الإيمان بأننا أمّة يفترض أننا نَعيش على هذا الكوكب ونملك تاريخنا وماضينا وهويتنا وتراثنا.

فهل عبّرت أحداث هذه الحرب عن هذه الممتلكات القيمية؟ أم مزّقت حتى وشائج كنا نحسبها تربط بين الأخوة وأبناء المصير والوطن الواحد؟

هذا بالمنظور العام، فكيف كان الوقع على المثقف، "الشاعر والأديب والمبدع"؟

أمام هذا الجديد، والغريب، وقف المثقف حائراً فقد شُجّت مجموعة من القيم الوطنية والعلاقاتية بين أفراد المجتمع كان يرتكز عليها في مجمل نتاجاته الأدبية، وبدا له في تلك اللحظات الأولى العبثية أن كل شيء لم يعد كما كان، والأخطر من ذلك، أنه كاد أن يفقد الثقة في كل ما نادى به وكتبه وحرّض عليه في مساعيه كمثقف ومسؤول، أدبياً يكمن واجبه في رصّ الصف الوطني لمواجهة الكثير من مشكلاتنا الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، والأهم من ذلك كله في موضوعة نسيجنا الإنساني الذي يمثّل للمثقف غاية وليس وسيلة لبلوغ غاية.

ومن جهة أخرى، أعدّها إيجابية في مجريات هذه الأحداث، إذ أنها "غربلت" وفصلت بين الغثّ والسمين، سقط كثيرون من "أشباه" الأدباء والمثقفين، وانساقوا إلى ضلالة الفكر لسبب أو لآخر، وخرجوا من منظومة الممثلين للثقافة الوطنية المتمسكة بثوابت الأمّة، وبقيت النخبة من المثقفين متمسكين بجمر قضيتهم المتمثلة بوجودهم وهويتهم كممثلين

> نصوص معبأة بالقلق والدهشة، تخرج عن النمطية، وعن الخصوصية التي تعوّدت الكاتبة سلوكها في مجمل كتاباتها السابقة.

شرعيين لضمير الأمّة، وبأرضهم وثقافتهم الضاربة جذورا في عمق التاريخ، يحملون هم الوطن، ويحاولون الخروج من حومة الدهشة والغرابة، ويتمسكون بمقولة الحب والأمل بغد أفضل، انتصارهم على الذات لتمتين لحمة الأمّة وسلامة الوطن، والخروج من براثن الموت والقتل والتدمير إلى رحابة الحب والسلامة والأمان..

> الرسالة الأكثر وضوحا في كل ما جاء في الديوان، هي رسالة الحب، أن نمتلئ بالحب، حب الأرض وحب الوطن، وحب الإنسان.

كان القصد من وراء هذا التقديم تشكيل عتبة لمحاولة فهم فكر الكاتبة في كتابها (حين اعتزلت الغناء)، والمدى الذي سنسير فيه ونمضي إليه كي لا نصطدم بدهشة البحث عن ماهية الدوافع الفكرية من وراء النصوص، وما الذي أرادت الكاتبة أن تقوله سواء بما ورد من كلمات أو ما توارى وراء بيان الكلمات، وأردت أن أبسّط رهبة الولوج من خلال الإشارات في التقديم كي لا أقول إننا، وأمام محتويات هذا الكتاب، بين اللغة الرشيقة الملتزمة والواعية، والبعيدة عن الإثارة المجانية، وبين الإحساس العميق بحيثيات ما يجري، والدهشة المشفوعة بالقلق المستهجن من تدافع هذه الغرائب التي لم تعمل فقط على تدمير الوطن والقتل والتشويه، لكنها عملت على قلب القيم، وتشويه المفاهيم، والفصل غير المنطقي بين إنسانية الإنسان، وتقدم المصالح الآنية والأنانية وقد أخذت منه حتى الانتماء للأرض والمكان والهوية.

ندخل إلى عالم الكاتبة الأديبة فاتن ديركي، فندرك أول ما ندرك، أنها لم تعتزل الغناء، بل تجوّلت بين أفانين النغم تشدو بطرائق مختلفة، تصلنا موشومة بالغناء.. وأنا هنا، أزعم أنني أتابع نتاجاتها الأدبية، واستمعت إليها في ندوات أدبية، وكانت دائما تلفت انتباهي واهتمامي لحرصها على استخدام لغة رصينة وهادئة، بعيدة عن الترف غير المبرر، والإثارة المجانية التي تستنفر وتستفزّ الغرائز.

وقد تعودنا، ونحن نقرأ قصائد في "دواوين" ليس لها من القصائد غير الاسم، محشوة بتواصيف الإثارة، واقتناء الكلمة والمفردة، لتبدو في كثير مما نقرأ من شعر، وبما تكتبه الأنثى بشكل خاص، أنه فارغ من أي فكر، وليس أكثر من كلمات حشوها إثارة، تبعث فينا مشاعر الأسف والإحباط والعزوف.

فاتن ديركي لم تحاول دخول عالم الابتذال، بل كانت تختار المفردة الرصينة والمعبّرة والملتزمة، وعندما تكتب عن الحب، فهي تشتغل على أرقى ما يمكن أن يملكه إنسان، فيبدو الحب الذي تعنيه الأديبة فاتن، حباً من نوع مقدّس بعيد عن إثارة الغرائز لكنه يلامس شغاف الروح، وهذا برأيي أرقى مراتب الحب.

كان الوجع مخيفاً، فرد أشرعة اللامعقول وأوغل في القتل والتدمير، وأشعل فيوضا من الأسئلة:

(من أشعلَ النيرانَ في غمار قلوبنا.. من أسدلَ الدجى على أرواحنا.. منَ دقَّ في دمائنا المسمارَ والإزميلَ.؟) "منَ قصيدة مَنْ".

ولذلك، ومن أجل ذلك علينا، ونحن بصدد الدخول إلى عالم فاتن ديركي في كتابها الجديد (حين اعتزلت الغناء) أن نحمل مصباحا لنستطيع اقتناص الفكرة الشمولية التي أرادت الكاتبة طرحها، أو التي جنحت إليها من خلال النصوص الإبداعية الواردة في الكتاب، استوقفتني النصوص لأقول، إنها معبأة بالقلق والدهشة، خرجت عن النمطية، وعن الخصوصية التي تعوّدت الكاتبة سلوكها في مجمل كتاباتها، لتجعلني أقف، وأستذكر حالنا، وما يجري حولنا وبنا، وهذه الحرب المجنونة، وأقول في نفسي، هذه الأديبة تحملّ همّ الوطن والناس والأرض، تحزن وتغضب، تتفاعل وتعلن من دون أن تعلن أنها وبطريقة ما تمثّل ضمير الناس في مرحلة قد تكون من أصعب المراحل التي نمر فيها جميعا، التي، ونحن نقرأ النصوص في الكتاب، نلامس إحساس الكاتبة بهذا الجنون العبثي، في محاولات مستمرة لفهم ما هذا الذي يجري ولماذا وكيف، لكنها في مسار القلق والحزن، لا تستطيع، كما لا نستطيع نحن جميعا أن نجيب على السؤال المصيري الهام المتمثّل بـ لماذا وكيف.

(وجهُ الحكايات تشظّى بلا ملامحَ ولا تفاصيلْ.. بلا همساتٍ أو صهيلْ) "من قصيدة الهدهد".

الملفت في مسيرة الأديبة فاتن، أنها تعمل على تجاوز نفسها بين نتاج ونتاج، لكنها بالمجمل تسير على خط واحد، تحاول أن تعايش قصص الناس وهمومهم ومشكلاتهم، تتحدث عن المجتمع والإنسان، عن الحب والتضحية والوفاء، عن مجمل القيم الأخلاقية التي تعمل في كل وقت، على تكريس القيمة الأخلاقية في علاقات الناس مع بعضهم، فاجأتني في هذا الكتاب أنها خرجت من ذلك كله، وبقي الوطن والهم الوطني هاجسها، وإن دلّ هذا على شيء، فإنما يدلّ على القيمة المثلى التي تؤمن بها، في وطن يخرج من عتمة الموت

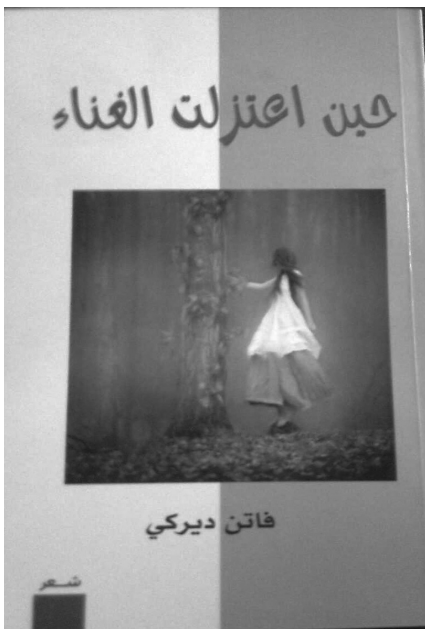

إلى نور الحياة، والكاتبة وسط هذه الغرائب تبحث عن ساتر حماية: (أحتمي بالسَماء.. ألوذُ بكفَّيها من لون الدماء...) "من قصيدة "دقيقة صمت"، فهل وجدت تلك الحماية.؟ أم أنها ستجد لها ملاذاً: (حين يباغتُني الألمُ، أناجي اللّه.. أوشوشُ مَلاكيَ الحارسَ أسألهُ: هل تَرى في الأفق أثراً لنور.؟ يبكي بصمت، فأبكي مَعَه..) "منَ قصيدة تجلّ".

وعندما يخفت صوت الحزن، يعمل العقل ليسترشد بالهدوء، خارج جدران التوثّب والغضب حيث فسحات الأمل التي يجب أن تشكّل فتيل نور في نفق يبدو مظلماً: (أنهضُ من حزني لعلّي أجدُ زمزمَ أخرى.. ويتبارك المكانُ.. يتفجَّرُ الماءُ، كما يتفجَّرُ الحبُّ في قلوبِ البشر) "من قصيدة حكاية وطن".

هو الأمل إذاً بأن هذا الليل الحالك سيفجّر طاقة النور، هي الرسالة التي أرادت الكاتبة أن تظلّل فيها قلق الناس: (أرى من بعيد أنهاراً من عسلٍ مُصَفًّى، ولبناً وخمراً وماء، وقصْراً مشيَّداً، أمشي إليه على بلاط من المسك، وتربة من زعفران) "من قصيدة تجلّ".

ويبقى أن أقول إن هذا الديوان (حين اعتزلت الغناء) شكّل مساراً جديداً في مسيرة الكاتبة فاتن ديركي، وركّز على موضوعة الوطن، وكانت الرسالة الأكثر وضوحا في كل ما جاء، هي رسالة الحب، أن نمتلئ بالحب، حب الأرض وحب الوطن، وحب الإنسان، فكلّها تقود إلى هدف واحد.. "حبّ الحياة"، نغسل بصفاء النوايا كل الحزن والتعب والوجع، ونعلن للعالم أننا أمّة تستحق الحياة..

فاتن ديركي، أيتها الموجوعة مثلنا، ستشرق الشمس تغسل ما علق فينا من أدران لنستقبل فتحاً جديداً، وحياة جديدة..

•حين اعتزلت الغناء، فاتن ديركي، دار بعل للنشر.

ناجي العلي... الفنان الذي يعلق قلبه الرقيق بجدار حتى يحميه

• وليد أبو بكر

المرة الأخيرة التي التقيت فها ناجي العلي كانت يوم ترحيله من الكويت. لم يكن لقاء وداع عاديا. كان محاولة للدفاع عن بقاء الشخص الذي عرفنا أنه مهدد. كانت محاولة ضد اندفاعه إلى الشهادة، أو استهتاره بهذا البقاء. كنت أشعر، مثل القريبين من ناجي العلي، أن الطريق إلى لندن هو الطريق إلى رحلة أخيرة. وكان يدرك ذلك جيداً، ويدافع عن اختياره بشراسة، لأن كل البدائل التي طرحت لم تكن مقبولة لديه، فهي تجرده من حريته.

كان يصرخ وهو يستغرب أن ما يقوله غير مفهوم:

كيف أستطيع أن أرسم بالأمر؟ ولو فعلت، فمن الذي يصدق أنني، في هذا البلد البديل أو ذاك، لا أرسم وفق من قبلني فيه؟ كيف تقبل لي أن أفقد مصداقيتي؟

«المصداقية أم الحياة؟ الرسم ذاته أم الحياة؟"

كانت أسئلتي تنهال عليه بقسوة، وأنا أتطلع في وجه ولده الأصغر، الذي كان يسمي نفسه "حنظلة" لأن بعض ملامح شخصيته الشهيرة أخذت من الصغير أسامة. الذي أصبح الآن شابا. كأن صراخه ينهال دفاعا عن نفسه: ماذا تظنني سأكون إذا لم أرسم؟

هل كان بإمكان أحد أن يقبل ناجي العلي الإنسان بحجم ما يقبل ناجي العلي الفنان، ويحبه كما هو؟ تلك فكرة ما كانت تدخل ذهن الفنان الذي تماهى مع فنه، دون أن يشعر بأن له حياته الخاصة وعلاقاته، خارج إطار الفن. كان يشعر بأن الموهبة التي طورها هي التي أسست له حياته كما كانت عليه. هي التي جعلته غير أي احتمال تطرحه نشأته وظروف هجرته وتعليمه. كان في عودته إلى شخصيات بسيطة عرفها في "الشجرة"، قريته الجليلية التي غادرها طفلا، وظلت عالقة في ذهنه؛ وعودته إلى شخصيات أخرى عايشها في مخيم "عين الحلوة"، حنين إلى حالة لم يكنها، تكون أقل تعقيدا مما قاده إليه فنه، وأقرب إلى بساطة ظلت تطبع حياته، فتثير دهشة من يكون قريبا منه، وتثير غيظ البعيد وعداءه.

كان ناجي العلي هو فنه. وحين تتعارض الحياة مع الفن كان يختار الأخير. فهمت ذلك منذ اللحظة الأولى التي تعرفت فيها إلى ناجي العلي قبل لقائي الأخير به بأكثر من عقدين من الزمان. فهمته من دون شكوك، تلك الليلة الأخيرة التي امتدت إلى الفجر، وانتهت عند التحرك إلى المطار، وكانت فيها لحظة الوداع الأخيرة.

أن تعرف ناجي العلي جيدا، وأن تفهمه جيدا ممكن. أن تتقبل ناجي العلي كما هو، صعب. أن تحب ناجي العلي كما هو، أصعب. مثل التدرج في مراحل الصوفية يكون الاقتراب منه، تماما كما هو الاقتراب من أي فنان صادق، غالبا ما يعلق قلبه الرقيق بجدار حتى يحميه. عندما يكون الحب يستمر ويقاوم كل تقلب محتمل، لأنه يكون خارجا عن قاعدته. والتقلبات المحتملة في حياة ناجي العلي لم تكن كبيرة. كل الذين أحبوا ناجي العلي ظلوا على حبه، ولم يكن حبه لهم أقل. كانت تطل حالات "يهشم" بها ناجي العلي من يحبونه، ولكنها تظل خارج إطار القلب، ويظل يجد لها ما يبررها.

كان حدّيا في موقفه مثلا: يثير جنونه أن يرى من يتنازل عما يراه الحق، فلا يتردد في التعبير.

ناجي العلي رسم بعض الذين يحبهم بقسوة، عندما شعر بأنهم سببوا له خيبة لم يتوقعها. وهو رسم الذين يتشدقون بالكلام وتغيير المواقف من مواقع ثقافية، دون أن يحبهم، وهو حول وجوه بعض السياسيين الذي عدّهم تجارا مثلما لا ترسم الوجوه، فأثار ضده التجار والسياسيين معا. لكن ناجي العلي كان ناقدا: تأتيه الفكرة، كما يكون النقد، ويراها صادقة، فلا يقاومها. ناجي العلي انتقد الاحتلال عندما وصل عين الحلوة ولم يتعرف على شخصه بين الجموع. القصة معروفة، وكان يرويها بطريقته التي لا تقلد، لكن من الحسن أن تروى باستمرار، حتى تكون الشخصية الناقدة لناجي العلي مبرّأة من كل دسيسة قيلت ذات يوم فيه، ربما من أناس تمسحوا بتراب شهادته بعد ذلك، وادعوا به معرفة تقربهم مما أرادوه حين ارتكبوا الدسائس: عندما دخل الجيش الإسرائيلي المخيم، لم يغير عادته (التي لم تتغير حتى الاحتلال الحالي للمدن الفلسطينية) في جمع الرجال داخل ساحة واسعة وتصنيفهم. كان هناك ناجي العلي.

وكان هناك ولده البكر خالد. تم تصنيف الصبي بين الرجال، أما والده، الذي كان شعره قد ابيض في غير أوانه، فقد ألحق بالشيوخ غير المطلوبين، رغم أنه كان في الخامسة والأربعين من العمر، ورغم أنهم سألوا عنه بعد ذلك، وكان تسرب إلى بيروت، وأخذ يروي ما حدث غاضبا، ويرسمه غاضبا، ويدلل على غباء "جيش الدفاع الإسرائيلي" الذي لا يعرف ناجي العلي، رغم أنه مطلوب لديه، ولا يعرف تقدير السن، فيحتفظ بالصبي ويطلق سراح الختيار. وفي هذه الحادثة ما يمكن أن يكشف عن أعماق من "البساطة المركبة" للحالة الفنية والذاتية والنقدية التي تكون ناجي العلي الفنان والإنسان، لن يمكن أن يتقبله كما هو. تعرض أحباء ناجي العلي لهذه الحالة غير مرة: بعضهم بقي على محبته، لأنه يفهم مجراها، وبعضهم الآخر غضب أو حقد أو أساء. تعرضت لذلك مثل غيري. كان طبيعيا أن أتوقع، وبالنسبة لي كان طبيعيا أن أفهم أن نقد اللحظة - حتى وهو يوجهه جارحا - ليس الموقف النهائي من الصديق. كانت علاقتي بناجي العلي قد نضجت منذ بداياته كرسام في جريدة "الطليعة" الكويتية، التي تصدرها مجموعة من القوميين الذي ينتمي ناجي العلي إلى أفكارهم منذ الصغر الذي رعاه فيه غسان كنفاني، أحد دعائم هذا الاتجاه. كنا - فلسطينيين ولبنانيين في الغالب - نؤسس صحافة كويتية حديثة تناسب مرحلة الاستقلال، وكنا نسعى للتعرف على كل موهبة في كل شأن صحافي.

كانت خطوط ناجي العلي خاصة، وكانت نكهته في الفن الذي لم تعرفه الريشة الفلسطينية من قبل بهذه القوة، جديدة كليا. تعرفت على ناجي العلي. كنا شابين في حينه. امتدت علاقتنا وتأكدت حتى صارت يومية بالمعنى الكلي للكلمة، لا لأن الصحف ساحت بنا وعملنا متجاورين أو معا في صحيفة أسبوعية (تحمل اسم اليقظة الآن) ثم في صحيفة

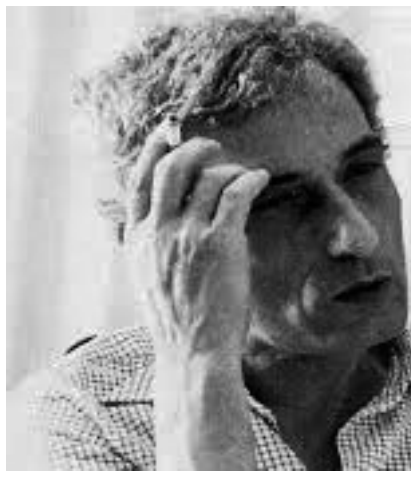

"الوطن" اليومية، ثم في "القبس" بعد أن بات في مكتب لندن، واخترت أن أكون في المكتب الذي كان له في مقر الصحيفة في الكويت. في هذا الزمن، ظلت علاقتنا يومية. كنت أحرص على ناجي العلي وأخاف عليه. كنا نتحدث باستمرار. كنت أرى ما يرسمه من لندن قبل أن ينشر، وأتحفظ على بعض منه خوفا عليه. الوقت الذي كان يفوت عليّ، وعلى رجل آخر أحب ناجي العلي، هو محمد جاسم الصقر، رئيس التحرير في ذلك الوقت، هو الرسم الذي ينشر يوم السبت، لأن عطلة الجمعة لا تتيح اختياره.

قد تكون علاقتي بناجي العلي من أجمل ما عرفت من علاقات حميمة في حياتي. كانت عوامل التلاقي بيننا كثيرة جدا، استطاعت أن تمتد حتى الآن إلى بعض أبنائنا بسبب خصوصيتها. مع ذلك لم أسلم من "شرّ" لسانه، ولكني لم أفسر ذلك إلا بالحبّ الذي يرفع الكلفة لأنه قائم على أساس متين. كما أنني لم أستحق لعنة رسومه التي طالت سواي.

في فيلم ناجي العلي الذي أخرجه عاطف الطيب حادثة حقيقية تقدم شيئا مما كان "يقذفني" به ناجي العلي (ولم أكن أسكت له)؛ الوجبة التي أرادت أن تتيح مصالحة بين ناجي العلي وبعض السياسيين الذين أثارتهم مواقفه في رسومه تمت في منزلي، وهي واضحة في الفيلم بالنسبة لمن يدقق.

عندما يدخل ناجي العلي (نور الشريف) إلى الصالة، سريعا ومتوترا كعادته، يكون رد التحية تجاهي هو: ألست فلسطينيا يا وليد؟ ورغم أن ذلك اللقاء لم يكن الأول ولا الأخير، وأن لقاءات أخرى رتبت في "القبس" وفي بيت الفنان إسماعيل شموط وفي مناسبات وأماكن أخرى، إلا أن سيناريو الفيلم حول لقاء العشاء إلى ما يشبه العشاء الأخير الذي قامت عليه الأحداث الأخرى، فأعطى نموذجا لما كان عليه الموقف النقدي الحاد الذي يتصرف ناجي العلي من خلاله، حتى تجاه من يبذل جهدا لصالحه، من باب الخوف عليه.

الحالة ذاتها تكررت عندما عقد "المؤتمر التوحيدي" للاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين في الجزائر، وهو آخر مؤتمرات الاتحاد بذلك الاسم. ناجي العلي (عضو الأمانة العامة قبل مؤتمر صنعاء وانشقاق الاتحاد) كان - كعادته - معارضا. وجدتها فرصة أن أقنعه. كانت حمايته في ذهني منذ رحل إلى لندن. فشلت في إقناعه بعد أن سمعت منه من النقد الحار جدا، الضاحك جدا، ما كان أقله أنني أتساقط مثل غيري. وكان المؤتمر، وكان موقفه الحاد من المؤتمر ومن الذين حضروه. لكن ذلك كله لم يكن يكسر العلاقات الحميمة، من وجهة نظر ناجي العلي، التي كنت أفهمها، لأن الموقف قابل للخلاف، أما العلاقة فهي ثابتة.

لم تنكسر علاقتي بناجي العلي منذ بدأت. لم يكن بيننا تقاطع يمكن أن يثير جدلا يوصل إلى قطيعة. كان الأساس حبا وعلاقات شخصية وعائلية. كان خوف لا ينقطع، فهمه عاطف الطيب من لقاءاته بمن عرفوا ناجي العالي، ومنه اختار بوستر الفيلم: رجل وامرأة وطفلة وزهور تودع. كان وداعا آخر لقاء. وكان الخوف على ناجي العلي يتصاعد مع تصاعد رسومه في كل اتجاه، حتى اللحظة التي صرخت فيها: راح ناجي العلي.

كنت على الهاتف تماما عندما أطلقت النار على ناجي العلي تحت مكتب "القبس" في لندن. سقطت سماعة الهاتف من يدي. غادرت المكتب. ألقيت بنفسي على السرير حتى اليوم التالي. لم أجرؤ على التساؤل، ولم يقل لي أحد شيئا. حتى هذه اللحظة، يصعب علي أن أصارع مشاعري، لذلك أقفز عنها.

كان يجب أن أمضي إليه لأراه. كل شيء كان معدا إلا قدرتي على الذهاب. أردت أن أحتفظ بصورته كما أعرفها: حيا متحركا لا يثبت في لحظة، ولا يستطيع أن يعبر عن فكرته إلا وهو يقف، ويتقافز من زاوية إلى أخرى، ويداه معقودتان خلف ظهره.

لم أستطع أن أمضي لأراه في المستشفى، ولا أن أحضر جنازته. وبعد رحيله، خصصت صفحة يومية كاملة للكتابة عنه، امتدت شهورا طويلة، وكانت - بما يصلها - قادرة على أن تمتد سنوات، لكنني لم أستطع أن أكتب فيها حرفا واحدا.

صورة ناجي العلي بقيت لدي كما كانت، في أوضاعها المختلفة: في مكتبه الذي يرسم فيه واقفا، فوق "ستاند" متواضع يحب أن يضع فوقه رزما من ورق الرسم الأبيض. في منزله الأنيق، الذي يتنافس فيه اللون الأبيض مع نفسه، وتختار طاولة الرسم الصغيرة زاوية جميلة فيه، تواجه الجدار الأبيض، وتقف فوقها الأحبار السوداء وأدوات الرسم التي يعد معظمها أو يطوعه بنفسه، خاصة ما كان منها قصبا لكتابة التعليقات السكينية، وفوق اللوحة، في مواجهته عندما يرفع رأسه، كاريكاتير جرب نوعه، تتداخل فيه مرآة تعكس وجه من ينظر فيه، وقد كتب تحتها: مطلوب حيا أو ميتا.

عندما أقام ناجي العلي أهم معارض حياته في الكويت، جرب أن يعرض أسلوبا غير أسلوبه، جرب أن يدخل مواد غير الورق، وألوانا غير الحبر الشيني، لكنه كان لا يجد نفسه إلا بالأبيض والأسود: الأبيض والأسود لونا حياته منذ لحظة التشرد، وهما لونا أفكاره منذ بدأ يعي، وفي رسمه ومواقفه لم يكن لديه ما يستطيع التعامل مع ألوان الطيف.

ناجي العلي وجد من يقنعه بأن يقدم رسومه في كتاب، أول مرة في بيروت، بمقدمة كتبها محمود درويش، وكان بحجم متوسط، ثم في الكويت، وهذه المرة بحجم الأصول. وقد تسابق الناس إلى اقتناء الرسوم المطبوعة، أما معظم الأصول التي أنتجها ناجي العلي في الكويت وفي لندن، فكانت من مقتنيات الصحف التي رسم فيها هناك (الطليعة، السياسة، الوطن، القبس). مع اجتياح الكويت عام 1990، واجتياح مباني الصحف بشكل خاص، باتت أصول هذه الرسوم تحت التهديد. كان خالد ناجي العلي بلغ من الوعي ما يكفيه أن يخاف على تراث والده.

غامر بالوصول إلى الكويت، وغامر كثيرون معه في جمع ما توصلوا إليه من هذه الأصول التي تم وضعها في صناديق مناسبة من المعدن، وقمنا بالاحتفاظ بها داخل سرداب المنزل، حتى تهيأت لابن أبيه فرصة نقلها في شاحنة مقفلة إلى البر الذي يبقيها حاضرة أمام العين الفلسطينية والعربية والعالمية، ويبقي صاحبها حاضرا في القلب والذاكرة، وفي التراث الأصيل.

> رسم بعض الذين يحبهم بقسوة، عندما شعر بأنهم سببوا له خيبة لم يتوقعها، ورسم الذين يتشدقون بالكلام وتغيير المواقف من دون أن يحبهم.

سورية الاسم والفعل

•محمود حبيب

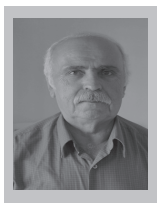

سرى إليك اشتياقاً والهوى سنن
قلب تواءم فيه البوح والشجن
ما همه كتمت نجواه أم نشرت
ففي هواك تساوى السر والعلن
وللغرام طقوس لا يمارسها
إلا الذين على أسرارها ائتمنوا
الشاطئان إذا الأمواج عاتية
الهاديان إذا ما ضلت السفن
الواثقان بنصر الله وعدهما
صدق.. وغيثهما أمن فلا حزن
جيش الشام وحب الأرض ما اجتمعا
إلا تبلج من فجريهما الوطن
كم راودتني- وقد كادت- ويعصمني
بك اعتصامي.. وضلت دربها الفتن
ولم يصب إخوتي مني أذىً ولقد
بغوا علي.. وثارت فيهم الضغن
المدعون بك القربى تقصمهم
خزي فباعوا تراث الأهل وارتهنوا
هم الخوارج في الأصلاب ما برحوا
يعممون المخازي أينما قطنوا
فطهروا جيلنا من جاهليتهم
فمن فساد المراعي يفسد اللبن
المترفون على آهاتنا.. سكروا
المتخمون.. ومن أوجاعنا.. سمنوا
فكم مددنا إلى الجيران أيدينا
وكم عطفنا عليهم كلما غبنوا
باسم العروبة والإسلام ننجدهم
وسورية قولها بالفعل يقترن
فكان رد جميل القوم أنهم
عقوا وعضوا يد الإخلاص واحتقنوا
باعوا الخيول ببخس من ضمائرهم
حتى السيوف لدى أعدائهم.. رهنوا
الجار جار.. وبئس الجار معدنه
لؤم وغدر.. ورهط جاهم طعنوا
هل في بلاد بني قحطان.. زاوية
إلا وران عليها الذل والعفن
ما هم لو سقطت (بغداد).. ثانية
أم (طنجة) أم (دمشق المجد) أم (عدن)
كأنهم فوق هذي الأرض مذ وجدوا
(تنابل).. وعلى استذلالهم مرنوا
العرب مرضى وفي أعماقهم درن
وصحة الجسم أن يستأصل الدرن
الزارعون لم تثمر مواسمهم
فلا حصاد.. ولا من قمحهم طحنوا
والسارقون استباحوا من عنابرهم
خبز الفقير ومن آلامه عجنوا
يا ليت.. يا ليت من عقوا مراضعهم
لم يعرفونا.. ولا في أرضنا سكنوا
ما دمت تسقي غراس المخلصين دماً
فليس يذبل في أوطاننا.. غصن
الحق يا شهداء الحق.. أنكم
في عرفنا الفرض.. والأنفال والسنن
لله.. للوطن الأغلى.. دماءكم
تقدمون.. فلا شكوى.. ولا منن
فأنتم الامتحان الصعب في وطني
والفارس الحق في الميدان يمتحن
حباكم الله.. ما لا عين قط رأت
من الخلود.. ولم تسمع به أذن
لكل شيء.. ومهما قد غلا ثمن
إلا الشهادة.. هذي ما لها ثمن
أمر الشهيد.. اختصاص الله.. ليس لنا
علم يحيط بما يعطي.. وما يزن
كفى الشهيد من الرحمان منزلة
اسم الشهيد.. وجل الموقع الحسن
فلا تخافوا على طهر التراب هنا
فكم ميامين هذي الأرض تختزن
لقد تآلف حقد الأرض ضدهم
فما استكانوا ولا ذلوا ولا وهنوا
يا أيها العاشق الأرض استرح فلقد
أوفى وأزهر في راحاتك الكفن

المساء

•جاك صبري الشماس

تهادى الليل وامتد الغروب
وكم تطوى ببردته العيوب
وبعض من نجوم قد تدلت
مصابيح تسامرها الدروب
وقطعان المواشي في انتشاء
يهدهد خطوها راع حبيب
وناي في فم الزمار يشدو
وأيك في تماسيه لعوب
وأسرار تناهت في سبات
تدثرها بكتمان، غيوب
وأجفان المدى تغفو وتصحو
يكحل هدبها أفق قشيب
وتمطر في الدجى أحلام بشر
ويورق نشوة فرح خصيب
وليل العاشقين نديم صمت
وإن رعشت بنجواه القلوب
وكم من صرخة وئدت بليل
وكم رتعت بفحشاء ذنوب
وألحان تناجي البدر جذلى
ووجه البدر في وله طروب
وكم من ساجد يتلو ابتهالاً
لبارئه بتسبيح.. يتوب
وإن خلع النهار قنيص ضوء
فثغر الكون محزون كئيب

وبين الفجر والظلماء شبه
إذا جثمت على صدر خطوب
يطول الليل إن زأرت شجون
ويقصر إن هوى القلب الرغيب

إلى ولدي

"في عيد ميلادهِ الثالث"

• وائل أبو يزبك

سَلامٌ على دُنيايَ حينَ تُنيرُها
وقد غابَ عني في دُجَاها سَميرُها
أُقبِّلُ خدَّيكَ الصَّغيرين أنحني
وأَثملُ.. لا كأسٌ عليَّ تُديرُها
وأخشعُ في دُنياكَ حتَّى كأنني
أنا خادمٌ فيها.. وأنتَ أميرُها
وأخشى إذا عاصَيتُ لثغَكَ أن أرى
جُفونَكَ تبكي والدُّموعُ تضيرُها
أَيَا ولدي تَروي طيوفُكَ ناظري
ويَسري لَيَاناً في حياتي عَسيرُها
وتغمرُني الدُّنيا بعينيكَ كلَّما
تضيقُ هُمومي أو ينوءُ مَصيرُها
تمنَّيتُ لو أُعطيكَ قلبي وخافقي
وروحي إذا ما عزَّ عندي نَظيرُها
وأُعطيكَ أحلامي وفيضَ مَشاعري
وحبري وأقلامي فأنتَ صَريرُها
وكأسي وقد ألقيتُ منها مواجعي
فلمْ يبقَ إلا عذبُها ونَميرُها

أَيَا ولدي تقسو الَّليالي على الفتى
ويخشُنُ عندَ الحادثاتِ سريرُها
وقد تعتَري أيامَ لينكَ جَفوةٌ
وينَضُبُ من ماءِ الحياةِ غديرُها
ويذهبُ من خُضرِ الأرائكِ سُندسٌ
خَضيلٌ ويَستَضري عليكَ حصيرُها
وقد تَفِدُ الأحلامُ سُوداً حَوالكاً
إليكَ وينأى في الضَّباب حَريرُها
وتجتمعُ الأقزامُ حولَكَ فانتبِهْ
فإنَّ أشدَّ الناسِ لُؤماً قصيرُها
وتَنبحُكَ السُّودُ النَّواجذُ بعدَما
نَزَعتَ لها ناباً فشَبَّ سَعيرُها
وتلفَحُ عَينيكَ الرِّياحُ عَواتياً
ويستبدلُ البردَ الرَّخيَّ هَجيرُها
فلا تستكِنْ إنْ شمتَ فيها مخاطراً
وقد دقَّ أجراسَ الهَلاكِ نذيرُها
ولا تَسْعَ للدُّنيا فتهلَكَ دونَها
وقد ماتَ في صدرِ الأنامِ ضَميرُها

وكُنْ مثلَما النَّسرُ الذي نَهَبَ الفضَا
طَليقاً ولا يَخدعْكَ فيها أسيرُها
تَموتُ الأسودُ الضَّارياتُ ولم يَزلْ
يَضُجُّ بآذانِ الزَّمانِ زئيرُها
بُنيَّ.. وهل أدركتَ معنى خواطري
وكُلُّ معانٍ قلتُ.. أنتَ تُثيرُها
ثَلاثٌ وما زالَ الرَّبيعُ مَدارجاً
وروضَتُكَ المعطارُ يزكو عبيرُها
بَلغتُ مشيبي غيرَ أنيَ لم أزلْ
أعاقرُ أحلامَ الصِّبا وأُديرُها
بُنيَّ.. وتُغريني الطُّفولةُ كُلَّما
أَراكَ.. ويُغني عن بلادٍ سَفيرُها
وما قلتُ شعري فيكَ إلا لأنَّني
أنا الطِّفلُ في الدُّنيا وأنتَ كبيرُها
لعلَّكَ أبهى إذ تُطاوِلُ غيمةً
يَهلُّ على الأرضِ اليَباسِ غزيرُها
ولكنَّما أحلى الزُّهورِ بَراعمٌ
وأجملُ أولادِ الظِّباءِ صَغيرُها

«ربيع»

• أدهم مطر

لملم الدكتور المحاضر أوراقه المتناثرة على الطاولة، وصفق بيديه محاولا إزالة ما تبقّى من آثار أقلام الكلس التي استخدمها في الكتابة على السبّورة، ثم أغلق محفظته الجلدية السوداء الكبيرة، و قبل أن يغادر القاعة، تحلّقَ حوله بعض الطلاب مُستفسرين عن أفكار عالقة، لا سيما أن مادة الشعر الإنكليزي الكلاسيكي كانت عصية على الفهم وبخاصة قصائد الشاعر الوجودي المرهف «جون كيتس».

تدافعنا نحو الخارج بشقاوة تلاميذ مدرسة ابتدائية، متُلهّفين للوصول إلى مطعم الجامعة، انفردنا عن بقية الطلاب، وجلسنا على طاولة في زاوية المطعم،كنا ُ ثلّة من زملاء السنة الأخيرة تجمعنا سنين دراسة طويلة، وتربطنا ذكريات مشتركة، منها المؤلم ومنها السعيد، نعيش كشخص واحد، نفكّر معاً، ندرس معاً وقد تآلفنا لدرجة أن أمهاتنا تعوَّدنَ على المضايقات الدائمة التي نُحدثها حين كانت تجمعُنا مناسبة ما،لم نكن نكترث لنظافة السّجاد أو لترتيب الأثاث أو لمطبخ زميلنا المضيف حيث نعبث فيه بكلّ ودّ نفتح الثلاجة، نصنع الشاي، نُقشّر البصل، نطهو، وأحيانا، نأكل على أرض المطبخ، من دون مبالاة، نحيا بفرح، بسعادة، نمضغ ساعات أيامنا بلذة شديدة ونستمتع حتى بأدق التفاصيل.

كان «ربيع « هو المميز بيننا، هو الاستثناء اللافت للنظر، فارع الطول، جذّابا ووجهه السمح الطفولي يُضفي عليه براءة واضحة وعيناه الزرقاوان الواسعتان كلون البحر في يوم مشمس،كم كنت أتأملهما،كأن للعيون هوية تعطي لكل إنسان طبيعة خاصة ،كان أكثرنا حرية، و مرحاً ودِعَةً متسامحاً لدرجة البساطة، و تصرّفاته العفوية تجعل خدّيه دائمتي التورّد، وعلى الأخصّ حين يقرأ شيئاً من محاولاته الشعرية، إلا أنه أوفرنا حظاً فقد استحوذ على انتباه زميلتنا الجميلة «سندريللا «.

عندما زرناه للمرة الأولى، عرفنا أنه وحيد وله خمس أخوات،لم تبدُ والدته كبيرةً في السنّ وعائلته من الطبقة الميسورة ، لكنهم بسطاء ، فوالده يملك مصنعا صغيراً للأدوات البلاستيكية يمضي به جُلَّ وقته كانت زيارة لا تُنسى، بذل جميع أفراد العائلة قصارى جهودهم لإضفاء جوٍّ من المرح الذي تعودوا عليه دون تكليف، أحسسنا وكأننا نعرف هذه الأسرة منذ زمن بعيد، وحين غادرنا تعلّقت قلوبنا على جدران المنزل ، تماماكاللوحات الأنيقة المنتقاة بعناية، أصبحنا ننادي أمه فيما بعد «بماما روز» وكم أعجبت بجمال زميلتنا «مها « التي اعتدنا أن نلقّبها بسندريللا «،كنا نتسابق للفوز بدعوتها لتناول فنجان قهوة، أو قطعة حلوى، دائما كانت لطيفة باعتذاراتها وبخفّة ظلها، تبتسم لنا صباحاً، فنشعر بنشوة غريبة طوال اليوم ،لكن ربيعاً فاز بها فقد كانت تحُبّه دون أن تبوح بذلك، حسدناه باديء الأمر حين علمنا، ثم ما لبثنا أن هنّأناه و باركنا علاقتهما وشجعناهما على الارتباط، وبعد انتهاء الفصل الدراسي الأخير دعينا إلى حفلة الخطوبة.

كانا كعصفورين في الحفلة، قالت لي أمه أن فرحتها تلك لا تعادلها إلا فرحة يوم ميلاده، رقصنا حتى الفجر ، ثم أوصلنا والده بسيارته إلى بيوتنا، سألته و نحن في الطريق عن مستقبل ربيع العملي فأجاب بصوت أبوي:

" يابني ، لقد انتهى دوري الآن، إنه دور الشباب، سأسلمه المصنع، وسأعاونه إن احتاج لذلك، صحتي لم تعد كالسابق ولا بد لي من الراحة، لهذا فأنا انتظره بفارغ الصبر".

بعد أشهر قليلة على نهاية الدراسة عدت من القرية وقد تعاقدت مع شركة خاصة للعمل فيها كمترجم، رأيت شقيقته بالمصادفة في إحدى الصيدليات، و ما إن لمحتني حتى أجهشت بالبكاء كانت شاحبةً هزيلةً، تقف بانحناءة بسيطة وقد أهملت زينتها، سألتها عن ربيع، وعن مها، أجهشت ثانية بحُرقة، وبعد أن هدأت، همست بصوت مفعم بالحزن:

ربيع يموت ببطء، فقد تبين أنه مريض بسرطان الدم و المرض في مرحلته الأخيرة يستحيل علاجها و هو الآن يرقد في المشفى و قد غدا أشبه بالمومياء.

هزّني الخبر، امتقع وجهي، انتابني دوار خفيف فأسندتُ رأسي للجدار، أجبتها بصوت مُتهدّج لا يخلو من الشكّ:

مستحيل؟ يا للمصادفة ؟ يا للخبر؟ يا للأقدار؟ كيف ؟ متى؟...

إنه يسأل عنكم دائما، الجميع أتوا، لكننا لا نعرف عنوانك في الريف، و هو دائم الرعب الآن يخاف أن ينام ، يخاف أن يغفو.

لماذا؟

لأنه يخشى أن لا يستيقظ ثانية، يخشى أن يموت وهو نائم؟

بلعتُ ريقي المُرّ بصعوبة، تمالكتُ أعصابي كي لا أبكي أمامها، سألتها عن مها فلم تجُب، تناولت ورقة صغيرة من حقيبتها اليدوية و كتبت لي عنوان المشفى، ثم مضت.

دخلت مبنى المشفى قلقاً، رائحة الكحول والأدوية تفوح من جميع الأرجاء وأشخاص يتجوّلون بألبستهم البيض الناصعة.

صعدت الدرج الدائري إلى قسم أمراض الدم ، ثم توجّهتُ إلى العنبر الذي يقيم به صديقي، كان الممرّ نظيفا، أبيض الجدران، والبلاط اللامع كان أبيض أيضاً، استوقفت إحدى الممرضات وسألتها عن الغرفة رقم"8" فأشارت لي بحركة آلية من إصبع يدها المُكفّنة بقفاز أبيضُ ثم همست:

" إنها في نهاية الممر على اليمين، لكن رجاء عدم إطالة الزيارة، فالمريض بحالة خطرة ثم طلبت مني أن أمشي وأتكلم بهدوء.

وقفت أمام باب الغرفة الأبيض، كان الرقم "8" منقوشا على لوحة نحاسية مثبتة في الوسط، انتابتني قشعريرة مفاجئة و أنا أطرق الباب، أحسست بخفقان قلبي المتوتر،كانت صدى ضرباته ترتفع إلى أذني، سمعت صوتاً نسائياً يهمس من الداخل :

تفضل .

أدرتُ مقبض الباب بهدوء، فاجأتني أمه بدمعتين لما رأتني، ثم أشارت بحركة يائسة من يدها نحو ربيع المُمَدّد على السرير و إلى جانبهِ طاقة كبيرة من الورود، و العديد من علب الأدوية المتناثرة تقدّمتُ بهدوء، هالني وجهه المنتفخ، ورأسه التي أصبحت صلعاء تماما بفعل العقاقير المهدئة- لطالما تباهى بشعره الجميل أمامنا- نظرتُ إلى والدته بأسى، لكن مشاعري فاضت حين رأيت صورة خطيبته بجوار السرير فبكيت، لقد كان يحُبّ صورتها تلك بالتحديد، و أذكر حين طلب من أحد الأصدقاء الذي كان يدرس فنّ الديكور أن يصنع له إطاراً مناسباً، ففاجأه الأخير بأن نحت

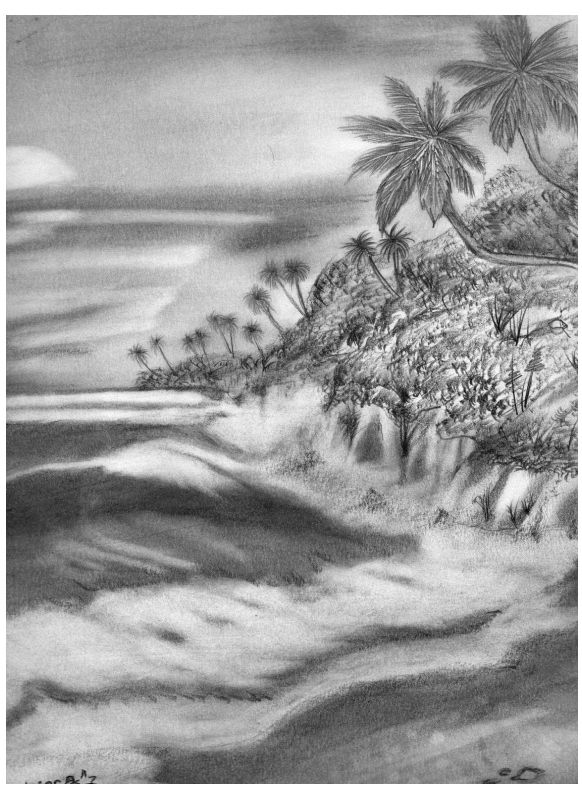

له صَدَفةً بحرية على شكل قلب، ثم ثبَّتَ الصورة بداخلها فأصبحت كالعلبة.

كان جسده مغطى بشرشف أبيض، سألت أمه عن حالته، فقلبت شفتيها وأشارت بعينيها للأعلى وتمتمت:

-" إنه تحت ألطاف الله "، ثم صمتت من جديد ، غارقةً في جوّها الجّنائزي.

تحرك ربيع قليلا، و كأنه شعر بوجود شخص ما، أخرج يده ببطء شديد من تحت الشرشف كانت صفراء ، ناحلة، فتح عينيه و نظر باتجاه أمه، فتحهما أكثر لما رآني واقفاً بقربه كالصّنم.

حاولت جاهداً أن ابتسم ، اقتربت منه أكثر لملامسة يده التيَ مدَّها نحوي بعجز واضح،كانت أظافره زرقاء، حضنت يده الباردة بيدي ،أخرج لسانه المصفرَّ وبلل شفتيه الناشفتين، حاول أن يتكلم ثم ما لبث أن عضَّ شفته السفلى فأدركتُ أنه يواجه نوبة ألم جديدة، أردتُ تهدئته، فأشاح بصره نحو الصورة و قد شقّت دمعة كبيرة طريقها باتجاه الوسادة.

أفاق ثانية بعد دقائق، قالت لي والدته أنه حين يستيقظ يتّجه بنظراته نحو تلك الصورة ويُعلّقهما هناك إلى أن يفقد وعيه ثانية.

نظر إليَّ و قد صمّم على الكلام هذه المرة، جاء صوته مرتجفاً، سألني عن صحتي ، ثم طلب مني قطعة «شوكولاتة « من العلبة التي جلبتها معي – لا يزال مولعاً بالشوكولاته رغم مرضه فقد كانت القاسم المشترك بينه وبين مها،لم يكن يتناول شيئا في الجامعة سوى أصابع الشوكولا التي تجلبهاله يومياً- فتحت العلبة بارتباك، فاجأتني والدته حين رفعت حاجبيها للأعلى بحركة رفض،كرر طلبه ثانية تجاهلتُ رفض والدته و ناولته قطعة بعد أن أزلتُ عنها غلافها الورقي.

تَلمَّسَها بأصابعه المُرتعشة، تنهَّد عميقاً، ثم قضم قطعةً صغيرةً محاولاً مَضغها، نبَّهَتهُ والدته بلهجةٍلا تخلو من الحزم:

ألم تسمع ما قاله الطبيب ، إنها تَضُرُّ بصحتك كثيراً يا حبيبي ، لا تأكلها أرجوك .

تَملَّكهُ إحساسٌ بالإهانة عند ذاك فانفجر بوجه أمه :

إلى متى يا أمي ، إلى متى ستكابرين ؟ ألا تعملين بأنني إنسان ميت ؟ ألا تعلمين ذلك؟

ثم أشاح بوجهه و قد تسمَّرت عيناه على الصورة وجاءني صوته واهنا :

اسمع يا صديقي ، لقد فسختُ خطوبتي من مها ، أرجوك اذهب إليها و قل لها بأن لا تحزن فالحياة كلها أمامها لأنني إنسان ميت ، أتفهم ؟؟ ثم عضَّ شفته السفلى ثانية و قد تشنَّج جسده لشدة الألم.

غادرت المشفى مجرجرا قدمي ، تهزّني نسمات شباط الباردة ، لم أجرؤ على زيارته ثانيةً،لم أجرؤ حتى على الاتصال ، كنت أتابع أخباره من الأصدقاء و علمت أن خطيبته أصيبت بانهيار عصبي إثر تلقيها خاتم الخطوبة .

حاولتُ تهدئتها حين زُرتها مساء ذلك اليوم الشتائي الماطر ، شرحت لي باكيةً مقدار حبها له ،وأنها مقتنعةً بشفائه و ستبقى مخلصة لروحه،ورجتني أن أزوره لأخبره بذلك لأنه لم يسمح لها بزيارته بعد أن ساءت حالته في الأيام الأخيرة .

توجهت نحو منزل أهله ، و قد صمّمتُ أن أشرح الموقف ، مشيت بخطى وئيدة محاولاً ترتيب أفكاري وكلماتي ، قرعت جرس الباب،كان الجو ساكناً ، رطباً، و ثَمَّة رائحة ورود قوية تنبعث من أرجاء المكان ،فتحت امرأة لا أعرفها باب المنزل ، نظرت إلى عينيها ، كانتا محمرتان ،سألتها :

ـــ عفواً سيدتي ، أريد أن أرى ربيعاً إن أمكن ،أناصديقه، وقد علمت أنه عاد من المشفى .

طفرت دمعتان كبيرتان من عيني المرأة ، ثم انخرطت في موجة بكاءٍ حارّة ، و بعد أن التقطت أنفاسها بصعوبة ، أجابتني بصوتٍ مرتجف :

لقد تأخّرتَ يا بُني ، اذهب لرؤيته هناك، إنهم في المقبرة".

قصيدتان

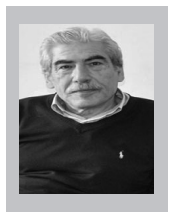

•محمد الفهد

صمت الغابات

(1)

كَانَ أَبِي وَقُبَيْلَ دُرُوبِ شِتَاءٍ يَقْصِمُ أَضْلاَعَ الْوَقْتِ
يَرُوحُ صَبَاحاً لِلْغَابَةِ
يَأْخُذُنِي مَرَّاتٍ كَيْ أَتَعَلَّمَ مِنْ صَمْتِ الْغَابَاتِ
وَأَحْزَانِ الصَّخْرِ
مَا يَنْفَعُ صَوْتِي الْقَادِمَ لِلْمُدُنِ الأَحْلاَمْ
يَتَخَيَّرُ مِنْ أَشْجَارِ الْغَابَةِ وَاحِدَةً
يَدْرِكُ أَسْرَارَ مَدَاهَا
فَلَقَدْ نَبَتَتْ مُتَنَاقِلَةً فِي دَرْبِ شَائِكْ
أَوْ بَيْنَ عُيُونٍ لاَ تُبْصِرُ رُوحَ الضَّوْءِ
حَتَّى ضَاقَتْ أَلْوَانُ
حَجَبَتْ شَمْسَ الْفِتْنَةِ عَنْ صَوْتِ الأَوْهَامْ
يَنْظُرُ هَلْ جَاءَتْ أَعْشَاشٌ نَحْوَ فَضَاءِ الْخُضْرَةِ فِيهَا
هَلْ نَامَ عَلَيْهَا نَحْلٌ أَمْ سَكَنَ الْعِشْقُ بَقَامَتِهَا
وَيَدُورُ.. وَأَسْمَعُ مِنْهُ دُرُوبَ الْقَوْلِ
كَأَنَّ الْقَوْلَ يُفَتِّحُ دَرْبَ الأَحْوَالِ
وَمَا صَارَ عُيُونَاً فَوْقَ غَمَامْ
حِينَ يُبَاشِرُ فِي قَطْعِ يَدَيْهَا
أَسْمَعُ تَمْتَمَةً لا أُدْرِكُهَا
وَأَرَى كَيْفَ يُعَانِقُ أَغْصَانَاً
فَكَأَنَّ الْحَضْرَةَ وَجْدُ غَرَامْ

(2)

فِي مَجْلِسِنَا قُرْبَ الْمَوْقِدِ
يَبْدَأُ مُبْتَسِماً وَأَرَى كَيْفَ يَشُمُّ عُطُورَ
الشَّجَرِ الْفَائِحِ مِنْ سِرِّ النَّارْ
فَيَصِيرُ يُحَلِّقُ مَعَهَا
حَتَّى يَبْدُو الْعِطْرُ نَبِيذَاً يُمْسِكُ دُنْيَا الْوَقْتِ بِنَا
فَيُعَانِقُ رُوحَاً تَهْرُبُ مِنْ صَوْتِ الأَسْرَارْ
وَيَصِيرُ إِلَى شَرْحٍ عَنْ أَشْجَارِ الْمَوْقِدِ
مَا صَارَ عُيُونَاً فِي لَيْلِ الْفِتْنَةِ وَالأَسْرَارْ
حَتَّى يَأْخُذُنَا نَوْمٌ فَتَجِيءُ الأَشْجَارُ بِرُوحِ الْحُلْمِ
تُكَلِّمُ وَاحِدَنَا فَنَصِيرُ عُيُونَاً فِي رُوحِ الْفِتْنَةِ
فِي بَيْتٍ يَجْمَعُنَا دُونَ عِتَابْ
يَحْرُسُنَا ضَوْءٌ مِنْ وَجْهِ الأَقْمَارْ

ومضة الشرود

تَحْمِلُنِي رَائِحَةُ الشِّيحِ إِلَى تِلْكَ الْقُبْلَةِ
حِينَ هَمَسْتُ بِعَيْنَيْهَا أَنَّ الْمَطَرَ
يُعَانِقُ صَوْتَ الأَرْضِ وَيَرْمِي مِنْ لَوْعَتِهِ
أَسْمَاءً تَتْلُو أَسْمَاءْ
وَأَنَا مَا زِلْتُ أُدَاوِرُ رُوحاً فِي ظِلِّ حَدَائِقِنَا
حَتَّى أَجْلِسَ قُرْبَ عُطُورِ
تَتْرُكُنِي وَجْداً لا يُبْصِرُهُ أَحَدٌ
وَيَنَامُ خَفِيفاً مِثْلَ الْوَمْضَةِ فِي عَيْنِ الشُّعَرَاءْ
حَتَّى أَشْرُدَ فِي الْحُلْمِ
فَتَرْجِعُ مَرَّاتٍ فِي صَبْوَتِهَا
فَأُحِسُّ بِأَنَّ الرُّوحَ بِظِلِّي بَدَأَتْ تَصْعَدُ
وَأَنَا أَرْقُبُهَا حَتَّى تَعْلُو غَيْمَاً
يَتَسَامَى فِي مِشْوَارِ الْبَهْجَةِ حَتَّى يَغْدُو قَطْرَةَ مَاءْ

ولأني

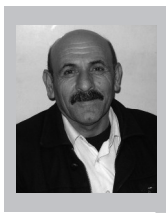

• محمود حمود

(1)

ولأني من تـراب واليه
يعجزُ الموتُ بأن يفصلني
عـن وطني

(2)

ولأني لم أزلْ شوكاً
بعينيّ غريب
ولأني لم أسَاومْ
عجزوا عـن فهم إنسانٍ مقاومْ

(3)

ولأنّ الموت لم يقدرْ
على كمّ فميْ
شاخصَ العينين
مذهولاً أموتْ

(4)

ولأنّ الدمعَ في عينيّ محبوبي سيولٌ
ودنانٌ من خمورٍ شفتاهْ
فأنا في جنّة
من تحتها الأنهار تجريْ
والهيْ في عُلاهْ

الكتابة بالحبر المجروح

• طالب هماش

من أوجاعِ حواكيرِ القمحِ
إلى شجنِ الأعشاشِ المجروحةِ
تحت جوانحِ أشجارِ الكينا ...

كم هوَ مرٌّ وجريحٌ صوتُ الريحِ
وكم هيَ هادئةٌ تنهيداتُ الغابةِ في
وادينا!

كلّ مغيبٍ
حينَ يفيقُ بكاءُ القلبِ
ننوّمُ صوتَ الريحِ المتعبَ
في أعشاشِ الليلِ ليرتاحَ من الحسراتِ
.
فصوتُ الريحِ حفيدُ (بكاوينا)!

ونهزُّ سريرَ الليلِ
على إيقاعِ الموسيقا النعسانِ
لتغفو عندَ نهاياتِ النايات أغانينا .

فأماسينا الملأى بالحزنِ
نقدّسُ فيها الحزنَ
لأنَّ غريباً أبديّاً
يتعذّبُ كل مساءٍ فينا!

أحزانُ قرانا وتريّاتٌ حيرى في الريحِ
وآه كم هوَ محزونٌ وترُ الآهات
المشدودُ على شجرِ المُرّانِ
ووشوشةُ الحورِ المبحوحةُ بين
حفافينا !

نحنُ كتبنا الشعرَ بحبرٍ مجروحٍ
وجعلناهُ مراثي
تترقرقُ كالقطراتِ المرّة
كلَّ عزاءٍ بين مآقينا !

نحنُ نربّي الأشجارَ لتصبحَ أعشاشَ
هديلٍ للريح
فهدهدةُ الحورِ تعلّمنا التنهيدات
وحنجرةُ الصفصافِ تعلّمنا نهنهةَ
الآهات
ونسماتُ الصيفِ تعلّمنا

كيفَ تطيبُ الغفوةُ
تحت جوانحِ أشجارِ الكينا
ونربّي الأصواتَ المكسورةَ
بين حواكيرِ الليلِ
ليبكي المغلوبُ فراقَ أعزّاءِ
الناسِ
فيا أسفَ الأيامِ على قدّاسِ أماسينا!

نحنُ نغنّي أغنيةَ الغيمِ الراحلِ في
أيلولَ
وأغنيةَ الحزنِ الراجعِ في تشرينَ
ونرحلُ كلَّ شتاءٍ كالرهبانِ
إلى أكواخِ مشاتينا.

موسيقانا ناحبةٌ
مثل أنينِ القصبِ المبحوحِ
وإيقاعُ مراثينا
مثلَ نواحِ الأشجارِ المشبوحِ
جريحٌ يتمايلُ قربَ جريحْ!

في أحضانِ حقولِ الحنطةِ
ترقدُ أعشاشُ طفولتنا
ومراثي شيخوختنا
تتأوّهُ في أعشاشِ هبوبِ الريحْ .

تأخذنا أمواجُ الحنطةِ
في الإيقاعِ الحيِّ
لأرياف الحزنِ الحيرى
ويهزُّ الأوتارَ الأعمقَ في الروحِ
حفيفُ الشيحْ !

بأيادينا البيضاءِ نهزُّ الأشجارَ
الليليّةَ
لنهدهدَ بالصوتِ الأسيانِ
قلوباً متعبةً
وعلى ذاكَ الصوتِ
تلوّحُ آسيةُ لوداعِ الأيّامِ أيادينا .

يا أسفَ الأيامِ على غربتنا
يا أسفَ الأشجانِ علينا!

بفناجينِ الدمعِ
نجمّعُ ماءَ مغيبِ الشمسِ
لأنَّ المغربَ ليسَ سوى ماءٍ مذروفٍ
يدمعُ من شريانِ مراثينا!

دمعتنا تتغرغرُ ساخنةً
فوقَ خدودِ الندمِ التعبانةِ
لانطلبُ من ماءِ العينِ سوى
أن يغسلَ من صدأِ الأحزانِ مآقينا!

...نتمشى كالسعداءِ سكارى
بين مماشي الماءِ الزرقاءِ
لأنَّ وجوهَ الغيّابِ الحلوةَ
يعكسُهَا ماءٌ رقراقٌ بينَ سواقينا .

الكونُ لهُ سرٌّ في صوتِ الشحرورِ
ونحنُ نقدّسُ هذا الصوتَ
ونسمعُهُ بينَ ينابيعِ الماءِ
ولكنْ حينَ تموتُ شحاريرُ النهرِ
تموتُ جميعُ أغانينا .

تحتَ سماءِ الليلِ المتكوّرةِ الزرقاءِ
تروقُ لنا الأحلامُ
فنغفو بقلوبٍ صافيةٍ
فوقَ سطوحِ العليّاتِ
ونحلمُ أحلاماً محبّينْ .

وبأعيننا البيضاءِ
نحدّقُ في قمرِ الصيفِ
فيجري تيّارُ النورِ الرائعُ
في أعماقِ نواظرنا جريانَ النهرِ
وتسري فينا كرنينِ الأجراسِ
أحاسيسُ قلوبِ السكرانينْ .

إيقاعُ عشيّاتِ الصيفِ
الهادئُ إيقاعُ مسرّتنا ،
وسكينتنا تتلاشى كالآهاتِ الحلوةِ
بين مماشي التينْ .

أغمارُ القمحِ تذهّبُها أجملُ شمسٍ
بين روابينا

ودموعُ الضوءِ تقطّرها صافيةً
كلُّ مصابيحِ السهرانينْ .

إنَّ منازلنا المرفوعةَ فوقَ الوعرِ
محدّبةٌ كقبابِ الكونِ النائمِ
فوقَ قلوبِ الناسِ
وأكبادِ المجروحينْ .

اللونُ الأبيضُ
لونُ مناديلِ الأعراسِ الشفّافةِ
والأزرقُ لونُ مناديلِ وداعِ الأحبابِ
وآهٍ من لونِ المغربِ
يحملنا في شلّالِ حنينْ!

زرقاءُ هي الأرضُ المنحوتةُ من
طيبتنا
والريحُ خيوطُ الأشجانِ الموصولةُ
بينَ شبابيكِ الفلاحينْ .

كلَّ مساءٍ نرفعُ بالصوتِ المنغومِ
أغانينا لليلِ ..
نغنّي كالغيماتِ المتطايرةِ التنهيداتِ
على أغمارِ القمحِ
وحينَ تلذُّ لنا الموسيقى
نعزفها بأصابيعِ الريحِ
على القصبِ الغافي
فنطيّرُ أسراباً ، ونلمُّ حساسينْ.

فإذا بكتِ الأمطارُ العطشى
كجلابيبِ الصحوِ المثقوبةِ بمناقيرِ
البرقِ
فتحنا كلَّ خوابينا .
وإذا حزنَ العاشقُ
صارت كلُّ مياهِ الينبوعِ دموعاً
وإذا حزنَ الشاعرُ
راحت تتأوّهُ في أجواءِ المغربِ
كلُّ غصونِ الكينا.
مترعةٌ بالغصّاتِ مواجعنا
غارقةٌ بالعبراتِ مآقينا.

موت بخـــــيل

•سهيل الديب

فوجئ جورج مرهج ابن عبد الله الذي توفي صباحاً من سؤال مانح موافقات الدفن في المقبرة الرسمية حين قال: كم كاهنا تريد؟

جورج: وهل لهذا علاقة بالدخول إلى الجنة؟

ـ طبعاً، الصلاة تريح الميت وتتشفع له عند الله.

جورج: وهل هناك عرف ما؟

المانح: نحن نرسل لك كهنة ومطارنة بقدر ما تريد ولكن شرط الدّفع!

ـ لم أفهم. كيف؟

قال: عندما يموت أحد أفراد العائلات الغنية تطلب عشرة كهنة ومطراناً أو مطرانين للصلاة على فقيدها .أما المتوسطة، فتطلب أربعة إلى خمسة كهنة ومطران .أما الفقيرة فلا بأس بخوري أو اثنين.

جورج متهكماً «في نفسه»: وهل هناك جائزة ترضية؟... وكم أجرة الواحد من هؤلاء؟

مانح البراءة: الكاهن المشهور أربعة آلاف ليرة سورية والأقل شهرةً ثلاثة آلاف ل.س أما المطران فستة آلاف ل.س. ها كم واحداً تريد؟

جورج: نصف واحد يكفي.

قال المانح: أتمزح؟

أجاب: لا فلتقم بالصلاة راهبة.

المانح: الراهبة لا تحل مكان الكاهن، تحتاجه يا بني. فكم تريد؟

جورج: واحد فقط ولكن ألا يوجد كاهن رخيص الأجر . أقصد ثمنه رخيص.

المانح: أجرته وليس ثمنه. ثمنه ثلاثة آلاف ل.س سأنتقيه لك من النوع الفقير.

جورج: اتكلنا على الله.

ناوله جورج ثلاثة آلاف ل.س وألفين من أجل حفّار القبور وألفين لحامل الورود وألفين للنّائحة التي ستعدد خصال الميت الحسنة، وسأل المانح جورج كي يعطيه شهادة الوفاة، فردّ جورج بأنه نسي أن يجلبها من الطّبيب المعالج قائلاً: غداً ستكون لديك.

المانح: ولكنّي لا أستطيع أن أعطيك موافقة الدّفن من دونها.

أخرج جورج بضع مئات من الليرات ودسّها في يد المانح قائلاً: والآن؟

المانح: أسكتّني ياملعون. تكرم، ولكن غداً. ها غداً. أناسٌ غشيمة.

دخل خمسةٌ من المعزّين إلى الصّالة الكبيرة التي تستخدم للأفراح والأتراح، وكان قبالتهم تماماً الثلاثة أخوة ببزّاتهم السّوداء، ووجوههم العابسة ،ومعهم بعض أقاربهم، فوقفوا جميعاً لتلقّي التّعازي بالمرحوم الذي لم يوارَ الثّرى بعد.

لم يكن المرحوم مرهج العبد الله إلا والدهم الذي مات صباحاً إثر نوبة قلبيّة (هكذا قال طبيب القرية) وترك لأولاده داراً عربيةً كبيرة ورثها عن أبيه، ودكّاناً لبيع المشروبات الروحية .فيها أيضاً بعض الأواني المنزلية وأدوية الغسيل وكان يبيع (المازوات) والخبز والخضر والفاكهة أيضا.

المرحوم مرهج كان يعمل في دكانه حتى الساعات الأولى من الصباح في انتظار سكران ضلَّ طريقه، فيصطاده سعراً غالياً ومشروباً مغشوشاً من «حنا الماشي» وإخوته، ولذلك استطاع أن يوفّر بعض المال ليومه الأسود ولم يكن له يومٌ أبيض قط. أما العائلة فكانت تعيش في ضنك شديد. صحيحٌ أن الزوجة والأولاد الثمانية بكوا جميعاً حين وجدوا أباهم ميتاً فوق نقوده، لكنهم في قرارة أنفسهم كانوا مرتاحين للقرار الإلهي بخطف روح والدهم الذي بلغ الخمسين قبل عدّة أيام.

اصطفّ المعزّون الخمسة وهم يتهامسون فيما بينهم مختارين كبيرهم كي يقوم بواجب التعزية. وما إن بدأ بقوله: «عظّم الله أجركم» حتى تحمّس الآخرون لتعزية ذوي المرحوم وكلٌ يتكلم كما يحلو له، فما عدت تدرك ما يقولون، لأن عباراتهم تداخلت فيما بينها، وأصواتهم علت كثيراً، حتى ارتجّ المكان. فالصوت العالي باعتقادهم يدل على الرجولة وقوة الشخصية وأهميتها. أما ذوو المرحوم فكانوا يجيبون بالطريقة ذاتها ليختلط الحابل بالنابل، وإذا كان الشخص جديداً على هذه العادات ،فلن يدرك كلمة مما يقولون، ولن يسمع إلا أصواتاً متقابلة تعلو وتهبط تبعاً للحماسة في تلقّي التّعازي، وما إن اختار المعزّون مكاناً للجلوس حتى بدأ الإخوة يتهامسون حيناً ويرفعون أصواتهم أحياناً أخرى. من الواضح أنهم يتناقشون في تفاصيل الجنازة من الدفن والصلاة على الميت ثم وضعه في مكانه الأبدي الذي لا يمكنه فيه غشُّ أحد بعد اليوم ،ومن ثم لا يمكنه تخبئة المال الذي كان يعدهُ بطريقةٍ تشبه كلباً جائعا حظي على عظمة بعد جوع.

الأولاد الثلاثة وأقرباؤهم من الفرع العائلي ذاته، وكذا أنسباؤهم يقفون ويقعدون كلما جاء معزّون. الكلام المكرر ذاته والإجابات ذاتها كأننا في امتحان لترديد الكلمات والحركات، لكن من الملاحظ أيضاً أن بعض المعزين ،ولاسيما الذين ولدوا وعاشوا في المدينة كانوا يحركون شفاههم فحسب من دون أن يتكلموا، فالبعض لم يحفظ تلك الكلمات، والبعض الآخر كان خجولاً، ولكن كان من واجبهم القيام بواجب التعزية ،فكانت تعزيتهم بتحريك الشفاه فقط، ولا عجب إ ن حدث هناك بعض الطرائف، كأن عزّى أحدهم الإخوة الثلاثة بقوله: ألف مبارك. الله يطوّل بعمره، وهو يقصد: الله يورث لكم العمر المديد، وما قصر من عمره ليزده الله في أعماركم. معزٍّ آخر قال «متلبكا» : على قبالكم، فردّ الإخوة: وأنتم أيضاً ،وعلى قبال أولادكم إن شاء الله.

كبار السن والمنافقون من المعزين كانوا يغدقون على المرحوم صفات لو سمعها لقام من الموت كقولهم: رحمه الله كان رجلاً كريماً، معطاءً، عفيف النفس ،شجاعاً، هيّاب المنايا ،صادقاً، عطوفاً. بعض الذين كانوا يجلسون في المقاعد الخلفية إذ سمع هذا المديح لم يتمالك نفسه عن الضحك، فنعره صديقه الذي يجلس بجانبه بكوعه قائلا همسا : عيب عليك، فردَّ: أما سمعت ماذا قالوا؟ الكريم المعطاء العفيف، رحمه الله كان أنجس من عليها، واستمرّ في ضحكه محاولاً ألا يراه أحد.

في الصالة المجاورة المخصصة للنساء وضع مرهج العبدالله مسبل اليدين والرجلين في تابوته المبرد. كان وجهه شاحباً شديد العبوس والتّجهّم ،وكأنه غاضبٌ مما فعلته زوجه ،وأبناؤه ،وبناته عندما أفرغوا جيوبه مما بها، وكذلك عندما نزعوا الطوق الذهبي الذي كان يضعه على رقبته ،والساعة القديمة التي كانت في معصمه،وحانوت المشروبات والمطلّقة التي كانت تزوره آخر الليل في ذلك الحانوت كل ذلك كان كفيلاً بقيامته لكنه لم يستطع، فالموت حقيقي ونهائي لا رجعة فيه.

المكان يغص بالسواد ثياباً ودخاناً، وابنته الكبرى التي فاتها قطار الزواج لسمعتها الرديئة كانت، وهي الملتصقة بالتابوت، إذ تندب أباها، وتلطم وجهها بين الحين والآخر، تمدّ يدها إلى داخل الكفن بل إلى جيب بنطال أبيها علّها تجد شيئاً نسيه إخوتها ،وإذ لا تجد شيئاً تعود للطم ثانيةً.

أمها كانت تقابلها تماماً ،لكنها كانت تبحث عن شيءٍ آخر تحت الكفن ثم تلطم وجهها بكثير من البكاء الذي يتحول بعضه إلى تمثيل حقيقي فلا دموع ولا حزن.

امرأتان تجلسان بعيداً تدخنان بشغف، وضحكهما يكاد يسمع في المكان، وهما تتبادلان الأحاديث عن أم جورج زوجة المرحوم: مسكينة مات أبو جورج، فتجيبها الأخرى «وهي تضحك»: لا تخافي عليها قادرة أن تدبر حالها، فترد الأولى : ومن سيقتحمها؟ فتقول: كثيرون. أليست أرملة؟ بلى. بلى هنيئاً لها. متى تأتي ساعته هو أيضاً، مشيرةً إلى زوجها، فتعاودان الضحك ثانيةً.

ولأن الجميع من النساء كن يتناوبن اللطم والبكاء والعويل وتعداد الميت وكذلك التدخين والضحك والسخرية فلم ينتبهن أن الكهرباء مقطوعة والرائحة بدأت تزكم الأنوف، لذلك صاحت امرأة منهن: الرائحة قتلتنا. ما بتشموا يا نسوان؟ وإذ بدأت الرائحة تصل إلى قاعة الذكور قال كبير العائلة: إكرام الميت دفنه.

اقتيد المرحوم مكبلاً بتابوته إلى الكنيسة ليصلى عليه، ودار الكاهن حول المذبح كما كان يدور الكاهن في الأسطورة اليونانية حول المذبح الذي كانت تذبح فيه الضحايا، وبعد أن أنهى طقوسه الدينية بدأ العويل من جديد ،وخاصة بعد أن حمل الشباب التابوت متجهين به إلى المقبرة.

في الطريق إليها بدأ صوت الرصاص يلعلع في الفضاء، والأهازيج الوطنية والقومية تعلو والأكف تصفق، وكأن الميت عريس يزف إلى عروسه لا إلى المقبرة.

الإخوة الثلاثة، وأقاربهم يتقدمون الجموع بالعبوس نفسه، وإذ وصلوا إلى المدفن صلي على الميت مرة ثانية كأنهم يؤكدون ضرورة إرساله إلى الجنة . خلع الصليب المسمر على غطاء التابوت بقوة إذ لا يجوز أن يوارى الصليب الثرى، فسمع القريبون نحنحة، وحين رفع الغطاء تحرك المرحوم، وعادت إليه الحياة.

جلس المرحوم في تابوته، وهو ينظر بذهول إلى الجموع التي انفضت من حوله خوفاً وهلعاً قائلاً: أين أنا؟ ماذا تفعلون في حانوتي؟

نهض المرحوم واقفاً متسائلاً عن سبب وجوده في هذا الصندوق الذي يشبه التابوت، وإذ بدأ يمشي ظهرت خلفيته ملطخة وعادت الرائحة للظهور بقوة مرة أخرى. أكبر أولاده همس لأخويه: أكلنا «هواء» أي حظ هذا؟ ضاعت الورثة مرة أخرى. أبوكما هذا لن يموت كما يموت الآخرون بإرادة إلهية، فما علينا إذاً إلا التحضير للانتقال به إلى الملأ الأعلى بإرادة بشرية ،ولكن ليس الآن. ليس الآن، فالغداء جاهز والمدعوون ينتظرون ، لكن ماذا لو عرف أبي أن الغداء على حسابه؟

قال الأخ الأصغر: لعل ذلك يريحنا منه . هيا لنخبره بسرعة ما دام بين الموت والحياة .

حين رأى مرهج العبدالله الجموع تلتهم (الصفيحة) واللبن عاد إلى تابوته مهرولاً، وهو يقول للكاهن الذي لم يبرح مكانه: مازلت ميتاً. ادفنوني ادفنوني، فالموت أقل كلفة وصعوبة مما رأيت. لقد غدرتم بي جميعا وحسابكم هناك في الآخرة .هات دفتر الحساب وديوني لن تموت أبدا .

ذاكرة الشعر... ذاكرة الوطن

الشّاعر: أحمد دحبور

•محمود حامد

...تمتدّ سلسلة الدّراسات المتعلّقة بالشّعراء الفلسطينيين... ذاكرة الشّعر... ذاكرة الوطن، لتصل بالشاعر: أحمد دحبور وهذا فضلٌ من المبدع... أضعه في الحسبان.. ما عشت، كون المشروع حلقة في مستحيل الظنّ، والتصور، ولكن تصميم الإرادة: فوق كل تصور، ومستحيل!!؟ فما أجمل أن ترى.. غرسك الذي غرسته يتطاول من: عشبة... ليّنة... طريّة العود كالقصب الطريّ... النّديّ.. إلى شجرة شاهقة حدّ الغياب القصيّ.. البعيد، وارفة الظّلال والثّمر، تؤتي أكلها كلّ حين بإذن ربّها!!! والثّمر... ليس أيّ ثمر!!؟ إنّه الشعر!!! ذلك المنتج المفرد: عذوبةً، وسحراً، وبهاءً، وبياناً!!!، والعثرة في الموضوع، وقد تخطيتها بفضل الله وكرمه كانت تكمن في العثور على السّيرة الذاتيّة للشاعر، وشعره، ومجموعاته، ثم دراسته الدراسة الوافية... ببضعة جهد من عندي، وجلّ الجهد الرّائع من الإخوة في مؤسسة القدس للثقافة والتراث، فقد تمّ تذليل العقبات، وها نحن نحصد ثمار جهدنا بحلقة لم نكن نحلم أن نصلها، بل وثقنا من الوصول إليها، أحمد دحبور!!! حيث بدأت قنوات أخرى كثيرة تفتح على موقع القدس، وتشاركه نقل هذا الملف الموسوعي، بحيث ينتشر الانتشار الأوفى والأكبر هدية: لفلسطين وشعرائها... ذاك النّبت الطيب الرائع، وكلّي أمل في المستقبل القريب أن تصدره القدس ضمن عملها الدؤوب المثمر البهيّ في مجلدات/ موسوعيّة ليكون توثيقاً حيّاً وخالداً للأجيال، يشار إليه بكلمة/ وسام على الصّدر لنا جميعاً: - "إنّه نفحةٌ جادّة وطيبّة للوجدان الذي اشتغل عليه، والذاكرة المثقلة به عبئاً، وأمانةً حتّى تحقيقه بإنجازه الكامل، وأنّه شجرة الحياة لأدب الحياة... يمرّ في الزمان: صباً فتياً لا يشيب ولا تعتريه الكهولة، بل يظلّ نضر الملامح، ساحر البيان، أخضر العود كصنوبر فلسطين وبرتقالها، وزيزفونها... على امتداد الدّهر الرّحيب-"... وأعود فأقول: إنّه الشعر/ الشّهد الذي يملك سرّه وبيانه في نفحاته المجبولة بمسك الإلهام، وعصارة الوجدان، وممتلك الذاكرة من عبق المتخيّل، ونضارة مغناه، ثمّ: أوّلاً وأخيراً من ذلك الدّفق الشّجيّ الذي يوحي من أوّل الدّهر للأنبياء، ثم أتمّه إيحاءً للشعراء، ثمّ تداولته الأجيال بنداوته، وطلاوته، وعذوبته، وسحر بيانه، ليغدو القطرة المنعشة النّديّة لظامئٍ في التهجير يريد أن يرتوي.

... ولأنّ فلسطين ذاك الجرح/ الوجع المهور بالدّم والشّعر، ونداوة المغنى: الشجيّ الخلاّب، والمقارب حدّ التوحّد بالتّسبيحة ذات الإيقاع السّماوي المبجّل، والترنيمة التي يصحو عليها الفجر، وعشّاق الفجر للصّلاة، ولأنّه تهليلة الأمّ لصغيرها!!! فإنّ صوت الغيب.. وحده الذي يوقظ هذا كله للغناء في كلمة مثيرة مفردة هي الشعر، ولا بديل، أو مقارب له: لا في دوحة الوجود، ولا في دوحة الخلود، إلاّ في ما يجتمع عليه الشعراء شعراً، ويتناوبونه... غناءً، ولكن لكلّ شاعر صوت ومغنى، ولكلّ مغنى إيقاعه، وبوحه الخاص... لذا، فإنّ هذه الحلقة ستتناول أحد شعرائنا المعاصرين... أحمد دحبور...

بما ألهم من شعر، وأوتي من مغنى مثل رفاقه الآخرين: فلسطين.. الشعر والمغنى، دمنا المداد، ووجداننا منبع الإلهام ومصبّه، ووجدنا الجارح هو اليراع عند الكتابة، وأيضاً تلك الدّمعة الجارحة التي تكشف هويّة قتيلها العاشق، وجنون انتمائه اللّامحدود، والأزلي لفلسطين، وقصيدة: جنسية الدّمع تكشف : هويّة وشعرية أحمد دحبور جميعها من ألف الحياة إلى ياء القصيدة، وبين هذين الحرفين يكمن سرّ وبيان وسحر اللغة التي يختلف اشتقاقها شعراً عمّا في الأرض كافّة من – "مستلهمات الوجود" -:

... صباحٌ من الغبش الحلو يفتح باب النّهار
نهارٌ من الصّحو إلاّ بقايا الغبار
مدارسٌ من أملٍ، والأمل ترجّل عن حلمٍ في عيون الكبار
إلى فرح يرتجل...،
فمن أينَ خوذة هذا المسربل بالبقع السّود؟
كيف انطوى العشب تحت الفتى وتلوّن بالزّهر؟
هل كان يدري إله الجنود، بما سوف يدري إذ أطلقوا النّار؟
أسمع صفّارةً، وأرى صوت حوّامة في السّحابة.
يرمي الجنود حروف الكتابة بالجمر،
فالحال في حالة... ويئنّ المضارع،
والشارع الآن جملة حربٍ،
دريئتهم كلّ رأس وقلبٍ،
أصابوا النّهار، إصابتهُ غير قاتلة،
فالرّصاصة في كتف الفجر، والنّهر يجري،
وروح العصافير تسري،
وما هي إلاّ دقائق، وما هي إلاّ رقائق من شجر الورد والصّبر،
حتّى يطير الجناحان، والنّهر يجري فلا يملأ البحر،
يصعد من رئة البحر البحر قوسا قزح
وما هي إلاّ حدائق كانت نساء، وأزواجهنّ، وطفلين،
حتّى يسيل الصّباح دماءً،
تغذّي مجنزرةً بالوقود،
فيربض فيها إله الجنود ويضحك

> قصيدته لا تقف عند حدود دمعة انهمرت وعبرت، وانتهت!!! بل تحوّلت إلى فعل دراميّ "إلياذي"... طاف الدّهر، والتاريخ، وبكائيّة الدّم الأولى.

تبكي ملائكةٌ غادرت قبر يوسف،
تعجز عن أن تردّ الكلام الذي لم يصل، بعد إسماع تلميذتين
فأسمع دمع السّحابة، من رامة الله تسري إلى طولكرم
ونابلس والخليل إلى خان يونس... من صخرة القدس حتّى رفح
وتبكي ملائكة جاورت قبر يوسف.
سيّدنا الخضر في بئر زيت
سيدخل في كلّ موت
ويخرج من نخلة ضربت موعداً للقيامة في عمق دير البلح
ونعرف جنسيّة الدّمع منذ بكى آدم،
يا فلسطين.. يا دمعة الله...،
للحزن أن يترجّل يوماً،
ليدخل من بيت لحمك طفل الفرح
ونعرف ماذا يخبئ، في الدّمع، هذا القطار
ولكن أيرجع من ذهبوا؟
لقد ذهبوا ليعيدوا النّهار
ولكنّهم ذهبوا

•••

ولسنا نكابر... بل هدّنا التّعب
سنفقدكم كلما هدأ البيت
هم عوّدونا: إذا حضروا يزهر الصّخب
ولا ينتهي الشّغب الحلو، يا روحهم أنت يا شغب

•••

وعند المساء يجيئون بالكتب المدرسيّة، والقدس،
والفرح المرتجى... والنّهار
سيعبث أصغرهم بكراريس إخوته، ويدور الشّجار
ونضحك، نفتح نافذةً فنرى أفقاً لا تعكّره البقع السّود،
يمضي الجنود... ويبقى الصّغار
سنكتشف البحر، نسرح في السّهل،
نصغي لنبض الحصاة بقلب الجبل
ونوقظ من نومه.. جبلاً غارقاً في الأمل
سنفعل هذا وأكثر: نضحك... نبكي
سيصبح هذا ربابتنا... ونحكي
ولكن.. لماذا يباغتنا الدّمع؟
يا أملاً ذهبوا ليجيئوا به... فلتجئ
ويا قمراً ذهبوا يقطفون لنا ضوءه... فلتضئ
ويا غد... فلنبتدئ يا غد الغد يا غدنا
لقد نام عمراً، وآن له أن يفيق الجبل
وآن لنا...

•••

... كما ذكرت في فواز عيد، وصالح هوّاري، وراشد حسين، والبحيري، وغيرهم من شعرائنا... الذين تجاوزوا الكتابة إلى الابداع، والمكرّر إلى المبتكر، والشّبه الخالص إلى الخلق الخالص... فأحمد دحبور... ذاك الفتى الأسمر.. الذي ابتكره مخيم العودة في حمص ليكون.. ليس شاعر المخيم فقط، ولا شاعر فلسطين وحدها... مع أنّه كان!!! ولكن صوت شعر الوطن على مدار الزّمن، ليس ضمن رقعة من الأرض مساحتها كذا وكذا، ولكن ضمن مساحة من جموح تشبه انفلات خطو المهر من ساحة الضّيق لفضاء مداه المطلق!!!

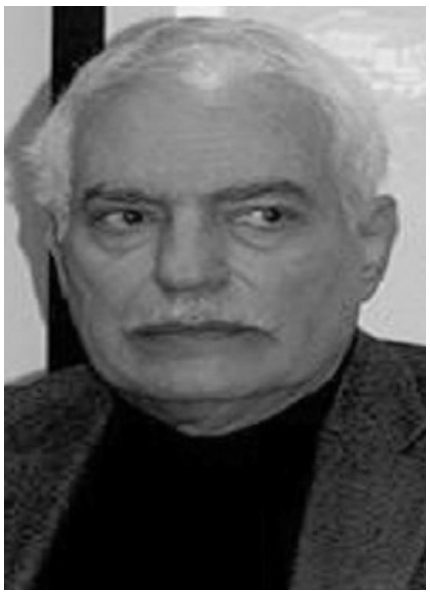

فقصيدة دحبور: "جنسيّة الدّمع"... لا تقف عند حدود دمعة انهمرت وعبرت، وانتهت!!! بل تحوّلت إلى فعل دراميّ "إلياذي"... طاف الدّهر، والتاريخ، وبكائيّة الدّم الأولى في الزمان فجرّتها يدٌ غدرت بأختها فكانت محنة قابيل وهابيل: أوّل فعل دمويّ في التاريخ فجرّ أوّل فعل دراميّ في التاريخ!!! ولكنّ القصد الأكثر إثارةً: جنسية دمعة أحمد دحبور!!؟ دمعة استثناء تختلف تماماً عمّا عهدناه من دمع عبر الأيام: دمعة فرح، دمعة لقاء، دمعة حبّ حارق كمجنون ليلى، دمعة فقدان، دمعة انكسار، وهكذا... وهكذا...ولكنّ جنسية الدّمعة التي طرحها الشاعر دحبور: ذهبت وغابت بعيداً في (الميثولوجيا/الأسطورة، القصّ القرآني، الوقع الضاري لفلسطين أرضاً وشعباً، حركة الدّمع الأسطورية التي كانت مفتاح العبور لوقائع ومتخيلات كانت تهيم كالغمام الرّماديّ في الذاكرة، ثم كشف الشاعر عن ملابساتها لمّا سلّط عليها ذاك النموذج المبهر من الأضواء، فإذا بها في النهاية تحوّم بجنون خارق حول طفولة فلسطينية خارقة انطلقت من الشّجار، وكسر الصّحون، والصّخب الطفولي المحبب، والشّغب المثير إلى فعل مقاوم ضارٍ لا مثيل له في التاريخ عشناه في: - طيور أبابيل حقيقية – صدق القرآن الكريم حديثه عنها، فعشناها: "وما ينطق عن الهوى"، والنماذج كثيرة جداً في تلك الطفولة، ولكنّ المثير الخارق زغردات الأمهات: بدمعة خارقة عند الوداع، ودمعة خارقة عند الاستشهاد، ودمعة الدّمعات جميعها الأحدّ ضراوةً لدى زفاف الشهداء إلى القبور التي تحوّلت إلى أسماء!!! أسماء لا: شبه، ولا مثيل لها في الوجود: فارس عودة، محمد الدرّة، وفاء إدريس، آيات الأخرس، و... و... وا ولا تنتهي لأنّ الأسماء لا تنتهي... فقط: تلك الأسماء الفلسطينية التي شكّلت اسم وطنها بدمها، من دم الوردة إيمان حجّو إلى دم الرّيحانة وفاء وآيات، إلى دم الزيزفون: فارس ومحمد، ثمّ: تعاقب الدّم لينتج برتقاله وتينه وزيتونه وزعتره وصنوبره، والقائمة تطول!!.

... كيف أبدع أحمد دحبور قصائده!!؟ وهو ربيب الجثث التي فتّح عينيه عليها، لأنّ مهنة والده كانت صياغة القبور اللاّئقة بشهداء

الغربة والمنفى الذين سقطوا غرباء بعيدين عن الوطن جداً، ولكنهم أقرب القريبين جداً للوطن!!! لقد استنبتت المخيمات من رحمها الضّاري أرقّ شعراء الوجود، وأعتى شعراء الوجود!!؟ فكيف لا نقف بجنون المتعة عند عنوان استثناء هو ابتكار شاعره:

... "" – جنسية الدمع – "...

.... قليل جداً من يستوعب العنوان، ويدرك مراميه!!؟

ولكن أليس العنوان هو مفتاح العبور للقصيدة وخفاياها!!؟

"بلى"!!!

... ثمّ لو دلفنا إلى المتعة الأعلى فيما وراء النّصّ، فكم سنقف ونعيد ونردّد:

... صباحٌ من الغبش الحلو يفتح باب النّهار

•••

... كيف انطوى العشب تحت الفتى.. وتلوّن بالزّهر!!؟

•••

... فالرّصاصة في كتف الفجر، والنّهر يجري، وروح العصافير تسري...،

•••

... ثمّ هذا التّعبير الموجع حدّ الضّراوة عن استشهاد بعض أبناء الوطن،

والتعبير عن الاستشهاد بالرّمز الدرامي المثير دون المباشر الواقعيّ:

... "وما هي إلاّ حدائق...،

كانت نساءٌ، وأزواجهنّ، وطفلين

حتّى يسيل الصّباح دماءً،

تغذي مجنزرةً بالوقود!!؟

•••

... نوع من الابتكار لفعل الاستشهاد بالتّلميح المرّ.. دون التّصريح الجاف!!! والذي يصل بارداً مع الأخبار العادية ، أو عادياً مع شعراء عاديين!!!

•••

... ثم تلك العودة/ الحامل: قصة يوسف حين تصبح مدخلاً لقصة فارس عودة، ورفاقه/ الشهداء: العودة للرمز القرآني... دلالة من دلالات الشعر:

... تبكي ملائكة غادرت قبر يوسف،

تعجز أن تردّ الكلام الذي،

لم يصل، بعد، إسماع تلميذتين

... ولعلّ الصّدمة القاتلة بدأت بابني آدم... والدنا آدم والذي: خلّف لنا أوّل جدّين في التاريخ يمثلان حركة التضاد البشري القائمة بني الخير والشر ثم توالت متعاقبةً من بعد قابيل وهابيل:

... "ونعرف جنسية الدّمع منذ بكى آدم"، وذاك جواب العنوان.

... في حديث الشعر عن فلسطين الوطن والحبّ والذكريات والحصاد والمواويل، فإنّ: حكاية الشعر هنا... حكاية حزينة جداً.. ومؤثرة للغاية!! فهي تشبه بتفاصيلها النّازفة روايات العجائز والكبار – سابقاً.. وقليل جداً الآن – لأنّ كبار الذكريات مضوا، والروايات الطويلة حول المواقد انتهت من زمان... حين كان أولئك يتحلّقون حول المواقد والقهوة المرّة، يسترجعون فلسطين: ليلةً ليلة، ونجمةً نجمة، وسهرةً سهرة، وكلّما أوغل المرء في العيون، غصّ بما يرى: دمعة تغالبها بسمة، ورعشة تقاربها آهة مـوّال وهكذا، لكنّ اليوم... اختلف عن الأمس، وتنوع حديث الشعر، وقصر الطريق للحكاية والذكريات، ولكن.. ظلت فلسطين تستحضر أشياءها الرّائعة لدى الجميع، هي البدء الأجمل، ثم يتنوع الشعر، والحديث، وتبرز الومضات الشعرية الخاطفة لتعبر عن قطار الشعر السّريع، والذي يختصر الأشياء بتلك الومضة الخاطفة، ولكنها تحمل كثافة الرؤية، واتساع مسافة الفكرة والعبرة فيها: "فطبيعة صامتة".. قصيدة الومضة التي تشبه ذاك التشكيل المكثف في لوحة طارئة، يقول دحبور في ذاك الومض الخاطف:

... تطلب الياسمينة ماءً،

لا ضوء يكفي ليغسل وجه المكان

والعطر يرسله الياسمين إلى لا أحد

تجعّد في المزهرية، وانفرد

لم تضيء شمعه،

كلّ ما كان أنّي هنا وهناك،

ويمكث، حيث تركت ، الزّبد

•••

... هذا التّعبير الخاطف السّريع، يشبه لطمة الموجة الخاطفة للضفّة المستكينة لصمتها، ونومها، تأتي لطمة الموجة فتوقظها على صحوة مباغتة... أرقة... راعشة... هذا حالٌ - ومضة الشعر مع ضفتها الوادعة المستكينة، عكس موجات الشعر الهادئة الطويلة، المسترسلة بمغناها الطويل، حيث توقظ الضفة المسترسلة بنومها على إيقاعها المتواتر بنغماته المتدفقة شيئاً فشيئاً... فتتنبّه الضفة شيئاً فشيئاً بصحوة متباطئة مطمئنة مع افترار الثغر عن بسمة تبدأ بضحكة كضحكةَ نجمة صغيرةً كالبرعم في فلكها البعيد، ثم تتسع الضحكة لتصبح ضحكة هلالٍ قمريّ شاخ عاشقاً على شرفة انتظاره لنجمة عابرة!!! ذاك حال الياسمين في ومضة دحبور، وحال الضوء، ووجه المكان، وتجعد الياسمين في المزهرية، وأنا المتبعثر هنا وهناك كالزبد المبعثر على الضفاف!!! هذا كلّه حكاية طويلة كالنخلة، وقصيرة كالعشبة.. حيث لكل منهما تأثير ذاته في مكانه: صغر أو كبر، فلكل شأنه في الحياة... صغر الشأن أم كبر، فإنه جزء من جماليات الحياة، وحكايتها مع الزمان، هذه ليست فلسفة، ولكنها جملة واحدة... تختصر حكمة الأشياء على من حولها، وما حولها لتغدو فيما بعد في متخيّل الشاعر شأناً ذا قيمة حيوية للغاية، يصغر الشّأن، كما ذكرنا، أو يكبر، فإنّه في النهاية ومضة تلد قصيدةً، أو قصيدة تلد ومضة. ذاك شأن القصيدة بموضوعها، والومضة بمبعثرها الملوّن بشهقة برقه العابرة.

... تقول الحكمة: "يضحك من النّدوب من لا يعرف الجراح"!!!؟ فالنّدبة هي الومضة فلعلّ تلك النّدبة تحمل من الألم مالا تطيقه الجبال، ومع ذلك استصغر شأنها لدرجة الضحك: أهكذا تفعل تلك النّدبة بك!!؟ كذا حال الومضة الخاطفة والتي تكشف عن جوّانية قاتلة، فجاءت الومضة نفثة مطفئة لتلك الجوانيّة الملتهبة!!! من يعرف: وبال النّدبة/ الومضة، يقف تماماً على حال: - الجراح/ القصيدة -، ونحن بين فلسطين والمنفى: ندبة وجراح، تضيق، أو تتّسع!!! ولكنها... في النهاية.. "وجع قاتل" مقتله: نفثات من الشعر، أو جمرات كاوية من الصّبر، أو شاهدة موجعة التّفاصيل على حافّة القبر!!! تلك الأشياءُ الثلاث، والتي تكتمل بها حكاية الفلسطينيّ حيث يتواجد، وحيث يكون!!! .

> أشعاره عذبة حدّ البكاء، وطريّة النّداوة كعود القصب، ورشيقة كالغزال، وحادّة الطبّع كاللّبوة، وموغلة في الظّنّ حتّى لينتمي إليها صنوبر الأرض.

... من هنا: فالقصيدة الفلسطينية تولد من الجمر الكامن في تلك الأشياءِ الثّلاث: والمشحونة بتضادات الدّنيا كلها: قصيدة تولد مجنونة الهواجس، وتحمل عشقاً فريداً... وكاوياً بلذة حدّ الاحتراق والموت، وتمرداً ضارباً في القصيدةَ حدّ الجنون، ومع ذلك: فهي عذبة حدّ البكاء، وطريّة النّداوة كعود القصب، ورشيقة كالغزال، وحادّة الطبّع كاللّبوة، وموغلة في الظّنّ حتّى لينتمي إليها صنوبر الأرض والبرتقال والتين والزيتون والزعتر، وما يرد على بال فلسطين من مجمل ما أنتجه الشعر والجرح، والأرض، ولكثرة حقول الجثث التي تعثرنا بها في طريقنا إلى الحياة، أدمنّا على وجع الشاهدات التي تحدثنا عن عشاقها الموجعين بالأنثى الأرض، ثم ماتوا من الوجد، وأحمد دحبور في قصيدته: "رهين الجثّتين"، يفرغ تلك الهواجس القاتلة في:

جعبته المليئة بالعشق والموت – ثم يتركها لنا... نسترجعها بحرقتها اللاّذعة لكي نحمل عنه وجع حمله/ حلمه القاتل.. لأنه في النهاية حملنا/ حلمنا جميعاً أبناء الأنثى التي ذبحتنا بعشقها للأبد:

... مرأةٌ أم صاعقه؟

دخلت فيّ من العينين، واستولت على النّبع،

ولم تترك لدمعي قطرتين

- أنت لن تجترحي معجزةً،

حتّى لو أيقظت شمساً تحت هدبي

غير أنّي منذ أن أصبحت نهراً،

دارت الدّنيا على قلبي،

وأنهيت إلى نبعي مصبّي

فاستحميّ بمياهي مرّتين

نحلة أم عاشقه؟

تركت روحي رمالا

وأعارتني نخيلاً وجمالا

وحلمنا أنّنا نحلم بالماء فيزرقّ التّراب

"•••

... لن تميتيني كما شاء الأسى،

أو تشربيني في كتاب

غير أنّي منذ أن أضحيت صحراء،

نزعت الشمس عنّي

وجعلت الماء، في الرّمل، يغنّي

فاغرفي منّي سراباً باليدين

هل دمي صاعقة أم عاشقة؟

أم هي النّار التي توغرها حرب اثنتين؟

هكذا أمسيت، لا في الحرب،

لكن في حربٍ، وانتهاكات، ونارٍ عالقه...

•••

... تأتي لحظاتٌ على الشّاعر تختلط فيها الرّؤية الشعريّة بعضها ببعض، وتنفرج الكتابة بين النثر والشعر، ويتمردّ المتخيل على ما يكتب، وتتّسع المسافة بين الشاعر وقارئه: بحيث تنكسر الأجوبة عند الاثنين: ماذا يريد الشاعر؟ ولماذا لا يصعد القارئ لما يفلسفه الشاعر شعراً؟ وقد يطول النّصّ، فيستلبُ جمال الكتابة بطول النّصّ المفرط!!؟ وقد ينبش الشاعر ذاكرةً تعبانةً ليكتب، فتذهب الذاكرة في واد، والشاعر في واد، ويضيع الشاعر بين جثتين حفنةً من العمر ثم يعود بعد غياب للشاعر الحقيقي وفلسطين!!! عندها تعود العافية للشاعر وقصيدته، ثم يتابع فعله الشعريّ كما يرصده الوطن والقراء.

تلك ملامح تجربة أحمد دحبور الشعرية ثم نأتي الآن على ملامح سيرته الذاتية!!!

الشاعر: أحمد دحبور

ولد في حيفا عام 1946م – فلسطين.

بعد نكبة عام 1948م غادر مع أهله إلى سورية، واستقرّ بهم المقام في حمص.

تلقى تعليمه في المدارس السورية.

كان المحرر السياسي لوفا – وكالة الأنباء الفلسطينية في سورية عام 1972م، وعمل مراسلاً ميدانياً لصحيفة فتح للفترة 1969م – 1970م وكذلك محرراً أدبياً لفترة 1971 – 1972م.

كتب الشعر في فترة مبكرة كغالبية شعراء فلسطين الذين شبّوا وترعرعوا على وجع المأساة والمنفى وحلم العودة.

كتب في الصحف العربية والمجلات، وحضر أمسيات وندوات ومحاضرات ولقاءات ثقافية عديدة.

كتب الشعر والمقالة والنقد والأغنية والمسلسل التلفزيوني، وله: مسلسل: عز الدين القسّام.

عمل سكرتير تحرير مجلة لوتس عام 1988م وما قبل ذلك، ورئيس تحرير مجلة بيادر للفترة من 1990 ولغاية 1993م.

عمل مديراً لدائرة الثقافة في منظمة التحرير الفلسطينية، ثمّ مديراً عاماً لوزارة الثقافة الفلسطينية خلال عودته للوطن عام 1994م، ثم عاد لأهله في حمص.

كتب نصوصاً لفرقة العاشقين.

كتب أسبوعياً في جريدة الحياة... نقد وتحليل مجموعات شعريّة، وكذلك له مقال أسبوعي في جريدة الاتحاد والتي تصدر في حيفا.

رحل الشاعر أحمد دحبور في نيسان يوم السبت 8/4/2017م

إصداراته:

الضواري وعيون الأطفال – شعر – مطبعة الأندلس/ حمص 1964م.

حكاية الولد الفلسطيني – شعر – دار العودة /بيروت 1971م.

طائرات الوحدات – شعر-دار الآداب/ بيروت 1973م.

بغير هذا جئت – شعر – اتحاد الكتاب والصّحفيين الفلسطينيين/ 1977م.

اختلاط الليل والنّهار – شعر – دار العودة/بيروت 1979م.

واحد وعشرون بحراً – شعر – دار العودة / بيروت 1980م.

شهادة بالأصابع الخمس – شعر – 1982م.

كسور عشريّة – شعر – 1992م.

ديوان أحمد دحبور – تضمن سبع مجموعات أولى – دار العودة / بيروت 1983م.

في العقل منافع

• ناجح خضر الحمود

منافع الناس في سمو ورفعة، وليست في رياش جسد، وزينة منزل فجمالُ النفوس حلالها، وحلالُ النفوس أمرٌ لعقل استنار بعلم أضاءَ دروبهم فآمنهم بيسر ما أقام من أمرٍ، وإزالة قسرٍ، فالإكراهُ دربُ الرذيلة، وقلة الحيلة في مساحة الصلاح، وتضييق فضاء، وجور قضاء.

ألا إنَّ الشفاءَ حليةُ المخلصينَ وزينةُ الصادقينَ وبراءةُ العاملينَ، فيه تعملُ الأجسادُ بما يحييها ويقيها ذلَّ المهانة، وتعملُ العقول بما يستشعرها جمالَ الطيب من الفعل وعظيمَ الحسن من القول فتتصلُ بخيط النور وحقيقة المطلق النافذ خيرهُ المحبب أمره.

ومَن اتبعوا الظنَّ أخرجهم من لباس اليقين فمالَ بهم عن جادة السعي، وحادَ بهم عن واضح الرؤية فزاغَ البصرُ وتاهَ الركبُ في مفازة موحشة مَن زلّت بها قدمهُ أطبقت عليه ظلماتها فلا مخرج يُرى، ولا طريقَ عودة يُعرفُ، فلا أبوابَ ليُسترشد بها، ولا منافذَ تحيي الأملَ بلقاء ماء، أو ظل واحة يُستظل بها، فالسرابُ يحكمُ الأبعادَ فتصبحُ الجهاتُ كأنها جهة واحدةٌ، هيَ جهةُ الرمال وبؤس القرار.

فالأجسادُ باليةٌ والأرواح مقيدة محاسبة ومكاسبها من معادن الأرض أكثر دواماً وأعمر مقاماً فتذهب لسواها وينتفع بها غيرها كارهة كانت أم راضية حاملة معها جمال ما صنعت أو مساوئ ما فعلت فازرعوا لأبنائكم من بذور طيب الثمر وشهي المنظر ولذيذ الطعم كي يحصد أحفادكم، فيتذوقُ الخلفُ جميلَ السلف فيُكبرون صنائعكم ويحذون حذوكم ويعرفون المنافع فيقيمونها ويزيدون عليها من خصائص جديد ما يملكون بين أيديهم مادحينَ قويم السبيل وجميلَ الرشيد فيما هيأتم لهم مستطيبينَ مديح من بعدهم من وارثيهم .

فلا تشتروا مذمتكم من وارثيكم فوارثُ المشقة والمذلة شاتمٌ لاعنٌ ضائقٌ بما بين يديه، تائهٌ عن مواضع سبل النجاة مورثٌ للفجائع والويلات فمن أحاطت به الأخطاءُ قلَّ صوابهُ .

سؤال يستهلكني

• د. عبد الله دناور

معك أورق...
مثل غصن...
بعد زمهرير طويل
هذا ما ننتظرهُ
من الشّتاء
كنز البراعم
يخبئها في علب الغصون
ليقدّمها هدايا
لمثلي ومثلك
كالعاشقين في أعيادهم
وهذه فضيلتهُ
لا أعرف من الفصول
إلا أنت....
يا ربيعي
اسأل الياسمينة الأزهرت
تعرف أنّي أختها
تخبّرك صدق ما أقول
تعال فأزهاري
بانتظار رائحتك
كي تفوح
تعال نشكر الربيع معاً
ونغنّي:
المجد للاخضرار
بعد السبات
آه....
لو تعرف!!
كم من الزهور؟
كم من الضحكات؟
عليّ أن أرتدي
لأستقبلك
أعيش على وقع أمطارك
هذه مدّخراتي لك
فما لي عندك ؟!
آفاقك قصيّة
أقتفي آثارها
مع الفراشات
أرتادها مع الضوء
سؤال واحد يستهلكني
أريد الإجابة عنه
إلى متى؟
وكم ستظلّ ربيعي؟.

سِحرُ العَنادل

• صفوان حاج محمد

ما شأن الحساسين الصغيرة
تَنثُرُ في صُدوع خَدَري..
توقاً للغناء.
تدعوني كي أجمع حروفاً
من على جبين الشمس
أُهدهدها في
مهد شروقي
ومن نبض عروقي
أُلبسها رداء.
تَنظرُ في عمق افتتاني
شزراً..
حاملةً.. قشّةً من
شَذَرِ البيادر..
تُلقنني..
عِشْقَ البناء.
عطشي المسربلُ...
عِند خواصرِ الوَسن..
بِفَضَالَةٍ
مَن تَرَفٍ تَراخى..
لا يَمْلِك الدمعُ
وإن فاض..
للجفن المشقق
لحظة من رَواء.
صَدّاحُ المستحيلاتِ الألْف
الذي..
عشش في ظلال نخيلي
فظلّلني..
وضلّلني..
وخَنَقَ، بمواويل سَميْلةٍ
أنفاسَ الضياء.
ضجيجُ اخضرارٍ
يَنبعُ، من بريق عينيكِ
أوكارُ حَنينٍ
بأحضان الصنوبر
وندىً..
يتشبث..
بِذُرى فَنْواء.
سحر العنادل..
يعزفه
انسكابُ المحابر..
على الجرح العتيق..
على هزيع الليل..
المبعثر.. بين
أبخرة الجَفاء.
صنبور الحديقة
بعد أن..
عانَقَتْهُ طفولة أصابعنا...
قتَلَتْهُ
هِجْرَتُنا.. و تناسى..
نشيدَ الماء.

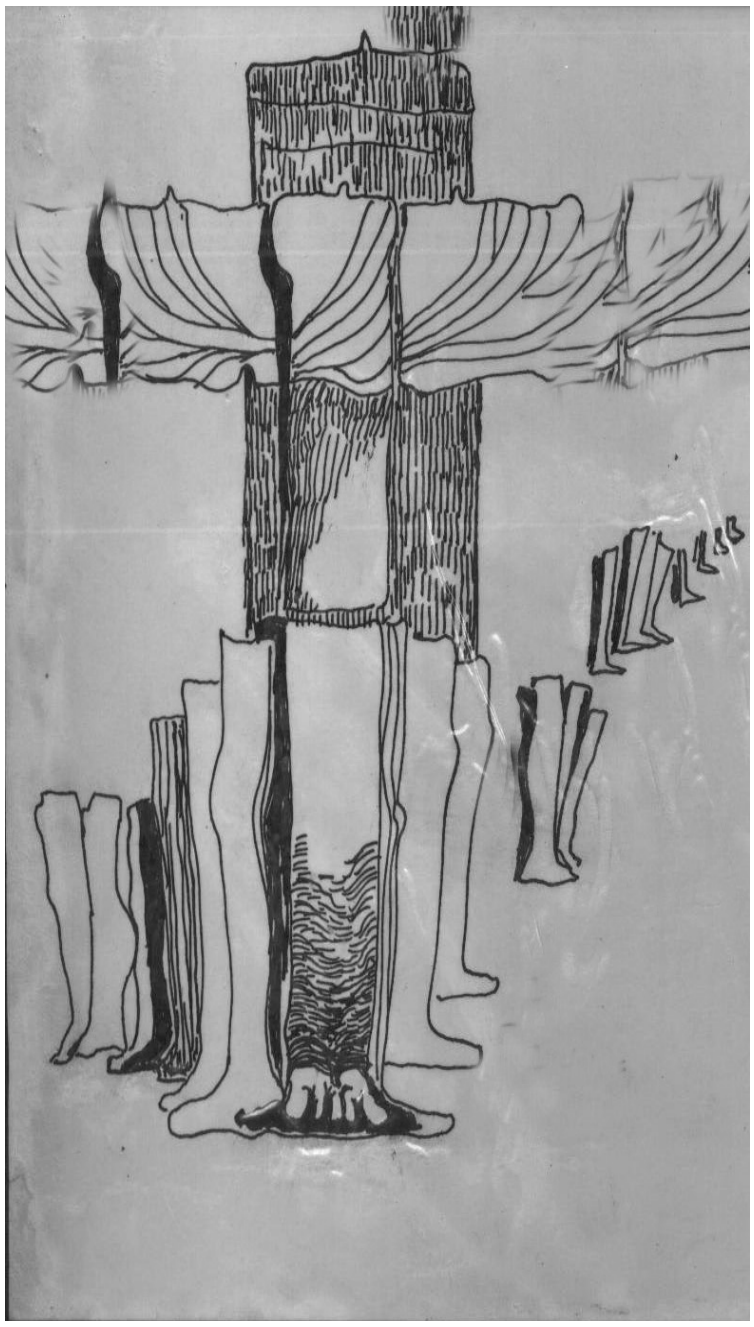

الكاتب والتشكيلي أديب مخزوم...

بين شعرية اللون ...و شعرية الموسيقى

• ريم الحمش

بعنوان : (تأويلات ذاتية لقواربي الورقية وليلاسمين الشام.. الفن يتعزز دوره في الأزمنة الصعبة) عبر الكاتب والتشكيلي أديب مخزوم عن مكنوناته وأحاسيسه عبر لوحات فنية متنوعة تضمنها معرضه الذي افتتح مؤخراً بقاعة المعارض في دار الأسد للثقافة والفنون-أوبرا دمشق.

تضمن المعرض/50 لوحة / بقياسات مختلفة، تتفاوت بين الواقعية والتعبيرية والتجريدية، بالإضافة إلى أن هناك بعض من الخطوط تعود بمفهومها إلى المدرسة الوحشية التي تعتمد ضربات ريشة سريعة وعفوية تمكن المتلقي بالإحساس بالمحبة والألفة والتآخي من خلال جمالية الألوان والخطوط والأشكال فجاءت متنوعة المواضيع حيث تقسم إلى أربع مجموعات تناول في المجموعة الأولى عازفات على الآلات الموسيقية تظهر عشقه المزمن للموسيقى، حيث يمتلك أرشيفاً موسيقياً ضخماً يفوق الأرشيف التشكيلي لديه، والمجموعة الثانية توطد علاقته بموضوع المرأة المتواجدة في أغلب أعماله،أما المجموعة الثالثة فقد منح فيها الياسمين فسحة أمل لكي لا يموت في هذه المرحلة المؤلمة التي تمر بها البلاد، والمجموعة الرابعة يجسد القوارب البحرية فجاءت على شكل مجسمات لقوارب ورقية رسمت من زوايا مختلفة استمدها من ذكريات الطفولة في مدينته طرطوس.

الملاحظ في العملية الابداعية للتشكيلي المخزوم أنها تمتلك خصوصية فريدة ولها شؤونها البصرية الحدسية بعناوين كثيرة المحتوى ومضامين بعيدة المدى تأخذك بحميمية لدخول تلك المعالم وكأنها روايات لقصائد تشوبها معاني للغة تجمع بين الحس العالي لطفولة بريئة فأفرزت تلك القوافي من الجمل اللونية والخطية منظومة من التشكيل الفني الذي تنامى فأبدع، فاللوحة لديه مفعمة بالحياة بملامح إنسانية ذات أفراح وعناءات مثيرة تتعلق ومخيلتك لتجد لها التفاسيرولو بعدة معان لتجدها مجتمعة الاحتمالات مما يعطيها ذاك الثقل النوعي من القيم والزخم الغير مبالغ، فالوجدان الإنساني في أعماله هو نور يخرج من الأعماق ليتوج ويضيء المشهد في اللوحة مستعيراً من الموسيقى رومانسيتها لخلق هذا التناغم اللوني وجمع تشظيات اللحظة الحسية وصهرها في مداليل اللون في بحثه عن خلود اللحظة الساكنة.

عن أعماله يقول: النشاط التشكيلي والثقافي يعني استمرارية الحياة، فحين أقيم معرضاً أو استمر بالكتابة النقدية فأنا أسهم في استمرارية الحياة، داعياً الفنانين للعودة للطبيعة والرومانسية الجميلة.

من ناحية أسلوبه المتبَع في أعماله يقول: بصمتي الخاصة موجودة في جميع لوحاتي المهم هنا هو الثقافة، فاللوحة التشكيلية الحديثة لا يمكن فصلها عن الثقافة، فكل متلقي ينظر إلى اللوحة من خلال منظوره الثقافي، فالشخص الأميّ بصرياً لا يستطيع أن يتقبل لوحة تشكيلية حديثة، لذلك نراه يميل إلى اللوحات المظهرية دون تميز أو تفريق بين اللوحة الواقعية المطلوبة جماهيرياً وبين اللوحة التجريدية النخبوية المحصورة

ضمن إطار الفئة المتذوقة والمتابعة.

الكاتب والصحفي أديب مخزوم من مواليد عام 1962، أنجز مئات اللوحات الكبيرة -زيت على قماش- وتدرج في صياغاتها من التجسيد الواقعي إلى أقصى حالات التجريد اللوني الانفعالي، مروراً بكل الاتجاهات الفنية الحديثة، شارك في معارض جماعية أقيمت في طرطوس ودمشق، ثم تفرغ كلياً للكتابة النقدية والصحافية، بعد أن أثار بيانه التشكيلي الأول (مشروعية التشكيل المعاصر) الذي نشر على عدة حلقات ردود فعل عنيفة ومتناقضة في الأوساط الفنية التشكيلية، ثم تتابعت سلسلة مقالاته المختصة بالفن التشكيلي السوري المعاصر.

يظهر لنا التشكيلي مخزوم تلك المسيرة المضينة التي خاضها بحثاً وتجريباً وبكل خطى ثابتة واثقة ونتلمس المردود الفعلي لذلك التعمق في الشأن الجمالي في تجربة الفنان مخزوم هو انعكاس طبيعي لشخصية واعية اتخذت من منجزها الفني هدفاً مرموقاً وجلياً ليتضح لنا من خلالها الاختيار الصائب والتكتيك المعاصر الذي يحاور شتى الوقائع والمتغيرات المتعايشة والتي تواكب حركة الفنون الجميلة الحالية كتفاعلات تطرح بموضوعية مؤثرة تعتمد على التعبير بالألوان عن الأفكار واللاشعورية والإيمان بالقدرة الهائلة للأحلام لخلق إحساس بعدم الواقعية إذ أنها تعتمد على اللاشعور، واهتم المخزوم بإعماله الواقعية المنغمسة بالسريالية بمضمونها وليس بالشكل ولهذا تبدو لوحاته غامضة ومعقدة،تحمل حساً فلسفياً وبعداً نفسياً لم يخلق من العبث وإن كانت منبعاً فنياً لاكتشافات تشكيلية رمزية لا نهاية لها تحمل المضامين الفكرية والانفعالية التي تحتاج إلى ترجمة من الجمهور المتذوق، كي يدرك مغزاها حسب خبراته الماضية والانفعالات التي تعتمد عليها سيرياليته الواقعية المنتمية لفوضى مرتبة تظهر ما خلف الحقيقة البصرية الظاهرة،إذ أن المظهر الخارجي الذي شغل الفنانين في حقبات كثيرة لا يمثل كل الحقيقة، حيث أنه يخفي الحالة النفسية الداخلية وهنا يتمرد عليها المخزوم ثائراً بكل ثقة معلناً تجربته الحقيقة يعرضها غير مبالي لما يحمله من إيمان بطرحه للعالم أجمع هنا نجد الفنان أديب يتوحد مع ذاته في لوحته الواقعية السيرياليه يكاد أن يكون نصف نائم ويسمح ليده وفرشاته أن تصور إحساساته العضلية وخواطره المتتابعة دون عائق، وفي هذه الحالة تكون اللوحة أكثر صدقاً.

وأخيراً تبقى تجربة التشكيلي أديب مخزوم بخصوصيتها امتداداً جميلاً لما قدمه الفنان السوري المعاصر والقديم لإيصال تلك الرؤى والتجارب والأفكار الثرية بإنسانيتها إلى قاعات العرض وعين المتلقي الواعي .

أديب مخزوم هو فنان وناقد تشكيلي وشاعر ومؤرخ موسيقي من مواليد طرطوس1962 صدر له كتاب موسوعي ونقدي تحت عنوان تيارات الحداثة في التشكيل السوري، ومجموعة شعرية نثرية تحت عنوان أحبك أكثر في سواد الزمن الآتي، وهو عضو في اتحادي الفنانين التشكيليين السوريين والصحفيين العرب وله عدة معارض مشتركة وآلاف الدراسات والزوايا والمقالات النقدية. وحائز على جوائز وشهادات شرف تقديرية في الفن والنقد من جهات محلية وعربية ودولية وله عدة كتب تحت الطبع منها : المناخ اللوني في اللوحة السورية المعاصرة وتأويلات جديدة في الإبداع التشكيلي، وفريد الأطرش قيثارة السماء، صدر له كتاب تيارات الحداثة في التشكيل السوري (مراجعة نقدية وخطوة توثيقية) في بداية 2010، وله أعمال تحت الطبع: المناخ اللوني في اللوحة السورية، سجالات تشكيلية في محترفات سورية،تأويلات جديدة في الإبداع التشكيلي،جدل الموسيقا والغناء (انطباعات وحوارات)، مقاربات ومباعدات (زوايا ومقالات).

لواء اسكندرون...إلى اللقاء!

كتاب جديد صدر للأديب الدكتور اسكندر لوقا، صدر حديثاً عن دار المشرق بدمشق، وجاء تحت عنوان (لواء اسكندرون.. إلى اللقاء)، وفيه حديث طويل عن اللواء السليب الذي أخذ باتفاق بين فرنسا (دولة الانتداب) وتركيا عام 1939، طي الحديث جوانب من السيرة الذاتية، وأخرى عن سيرة المكان، والعادات والتقاليد، والأعلام أهل الثقافة والرأي والتعبير، وكل ذلك عبر أسلوب أدبي غاية في الرهافة والجمال.

جاء الكتاب في حوالي الثمانين صفحة من الحجم الوسط. وتجدر الإشارة إلى أن مؤلفات الأديب لوقا تتوزع ما بين الرواية، والقصة القصيرة، والمسرحيات، والمقالات الأدبية، والدراسات السياسية، وكانت أول مجموعة قصصية صدرت له تحت عنوان (حب في كنيسة) سنة 1952.

قدّم للكتاب الباحث الدكتور نبيل طعمة بقولة : عندما يمنحني المفكر الأديب الدكتور اسكندر لوقا شرف التقديم لمخطوطة يشعرني ذلك بفطمة تواضعه وقيمة خلقه، وقوة التزامه الوطني، وأن ذاكرته النادرة تقدمه على سطور صفحاته كتبه التي تجاوزت الخمسين مؤلفاً يصرّ في جميعها على مقولة : كي لا ننسى حقاً من حقوقنا الوطنية.

اعتذار

تعتذر «الأسبوع الأدبي» من الصديقين الشاعرين وفيق أسعد، وصالح سلمان للخطأ الذي وقع في العدد 1538، وصوابه هو أن القصيدة للشاعر وفيق أسعد، في حين كان العنوان والصورة للشاعر صالح سلمان علماً بأن قصيدة الشاعر صالح سلمان كانت منشورة في الحيز المكاني نفسه في العدد السابق 1537.

لكل هذا.. اقتضى الاعتذار منهما ومن قرائنا الكرام.

الأسبوع الأدبي

المراسلات

الجمهورية العربية السورية - دمشق -ص ب(3230) - هاتف 6117241-6117240 -فاكس 6117244- جميع المراسلات باسم رئيس التحرير. هاتف الاشتراكات 6117242

ثمن العدد داخل القطر 25 ل.س - في الوطن العربي: 0,5 $ خارج الوطن العربي1$ أو ما يعادله. تضاف أجور البريد للمشتركين خارج سورية

الاشترك السنوي -داخل القطرأعضاء اتحاد الكتاب العرب 700 ل س - للأفراد2000ل.س -وزارات ومؤسسات2400ل.س - في الوطن العربي:للأفراد6000ل.س أو150$ - للوزارات والمؤسسات 8000س أو175$-خارج الوطن العربي:للأفراد 20000ل.س أو 360$ - للمؤسسات30000ل.س أو420$ والقيمة تسدد مقدماً بشيك مصرفي لأمر اتحاد الكتاب العرب -دمشق ويرجى عدم إرسال عملات نقدية بالبريد.

الآراء والأفكار التي تنشرها الصحيفة تعبر عن وجة نظر كاتبها

www.awu.sy

E-mail :
alesboa2016@hotmail.com

للنشر في الأسبوع الأدبي

يراعى أن تكون المادة:
- غير منشورة ورقياً أو عبر الشابكة.
- منضدة ومراجعة ومدققة مع مراعاة التشكيل حين اللزوم، وعلامات الترقيم.
- ألا تتجاوز المادة المرسلة /800/ ثمانمائة كلمة.
- يرفق مع المادة CD أو ترسل عبر البريد الالكتروني hotmail.com@alesboa2016
- يرفق مع المادة الصور المناسبة إذا لزم الأمر.

أعلام

غادة السمان

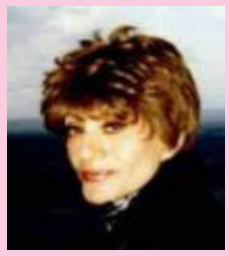

قاصة، صحفية.
ولدت في دمشق عام 1942
تلقت علومها في دمشق، وتخرجت في جامعتها - قسم اللغة الإنكليزية حاملة الإجازة ، وفي الجامعة الأمريكية ببيروت حاملة الماجستير.
عملت محاضرة في كلية الآداب بجامعة دمشق، وصحفية ، ومعدة برامج في الإذاعة.
عضو جمعية القصة والرواية.
من مؤلفاتها وكلها صادرة عن منشورات غادة السمان.

- عيناك قدري- 1962- عدد الطبعات 9.
- لا بحر في بيروت- 1963 - عدد الطبعات 8.
- ليل الغرباء- 1966 - عدد الطبعات 8.
- رحيل المراكب القديمة- 1973 - عدد الطبعات 6.
- حب- 1973 - عدد الطبعات9.
- بيروت 75-1975 - عدد الطبعات 5.
- أعلنت عليك الحب- 1976 - عدد الطبعات 9.
- كوابيس بيروت - 1976 - عدد الطبعات 6.
- زمن الحب الآخر- 1978 - عدد الطبعات 5.
- الجسد حقيبة سفر- 1979 - عدد الطبعات 3.
- السباحة في بحيرة الشيطان - 1979 - عدد الطبعات 5.
- ختم الذاكرة بالشمع الأحمر- 1979 - عدد الطبعات 4.
- اعتقال لحظة هاربة- 1979 - عدد الطبعات 5.

الكتب التي صدرت عن غادة السمان:

1 -غادة السمان بلا أجنحة- د. غالي شكري- دار الطليعة 1977.
2 - غادة السمان الحب والحرب- د. الهام غالي- دار الطليعة 1980.
3 -قضايا عربية في أدب غادة السمان- حنان عواد- دار الطليعة 1980.
4 - الفن الروائي عند غادة السمان- عبد العزيز شبيل- دار المعارف - تونس 1987.
5 -تحرر المرأة عبر أعمال غادة وسيمون دي بوفوار- نجلاء الاختيار (بالفرنسية) الترجمة عن دار الطليعة 1990.
6 -التمرد والالتزام عند غادة السمان (بالايطالية) بأولادي كابوا- الترجمة عن دار الطليعة 1991.
7 - غادة السمان في أعمالها غير الكاملة- دراسة - عبد اللطيف الأرناؤوط- دمشق 1993.

آخر الكلام

السقوط... (٢من ٢)

أ.محمد حديفي

غادر رئيس الولايات المتحدة "دونالد ترامب" المنطقة العربية محملاً بالذهب والألماس وكل ما خفَّ وزنه وغلا ثمنه، وكانت آخر أرض غادرها هي أرض فلسطين بعد أن طمأن الكيان الصهيوني بأن معظم العرب قد رُوِّضوا وأنهم رهن الإشارة لتنفيذ كل ما يطلب إليهم خدمةً لهذا الكيان، وإرضاءً للسيد الأميركي صاحب الفضل الأول والأخير في استمرار العروش وبقائها جاثمةً على صدور شعوب مغلوبةً على أمرها ترزح تحت نير التخلف والتبعية، وتعيش على الفتات الذي يجود به صاحب العرش والذي يرتدي زوراً عباءةَ التقى والصلاح بينما داخله حقدٌ دفين على كل ما هو مشرقٌ ومضيء، ففي قصره تحاك المؤامرات والدسائس، وعلى يده تتلمذ الحاقدون الذين بدورهم يعملون جاهدين لإطفاء أية شمعة يوقدها عربي شريف كي تبدد العتم وتنير الطريق وتحافظ على اتجاه البوصلة..

إنه قدر الشرفاء في المنطقة العربية أن يقاتلوا على جبهات عدة وقلوبهم تقطر دمعاً ودماً وحسرةً وألماً، كيف لا وأبناء جلدتهم الذين يُفترض أن يقفوا معهم في خندق واحد لمواجهة الكيان الصهيوني ومن يزوده بالدعم والأسلحة الفتاكة؛نجدهم يوجهون إليهم طعنات مسمومة في الظهر ويبدعون الوسائل والأساليب لإيقاف عجلة التقدم الهادفة لحراسة الحدود وحمايتها من الوحوش الضارية القادمة من كهوف التاريخ، والأماكن المظلمة في هذا العالم لتطفئ النور وتقدم الوطن لقمةً مستساغةً لأعدائه الطامعين والحالمين بقضمه بقعةً إثر بقعة؛ وعندها يتحقق الحلم الصهيوني في السيطرة على الأرض والإنسان وكل ما يملكه الوطن من خيرات ومقدرات وفي هذا المنحى يسعون لتقسيم الوطن إلى دويلات صغيرة مغلوبة على أمرها يكون الكيان الصهيوني بينها هو الدولة الأقوى بفضل ما يُقدم له من دعم استعماري ومالٍ عربي كان من المفترض أن يذهب لمستحقيه من أصحاب الأرض، وهنا أرى مفيداً أن أشير إلى أن آخر الإحصائيات أثبتت بأن شعوب الخليج تشمل الكثير من الفقراء الذين يعيشون تحت خط الفقر، ففي السعودية مثلاً بينت الإحصائيات أن أكثر من خمسة وعشرين بالمئة من الشعب السعودي يعيشون تحت خط الفقر وبعضهم يسكن بيوتاً من الصفيح التي تتحول إلى نار محرقة في أشهر الصيف وصقيع يصعب احتماله في فصل الشتاء، وبالمقابل نرى قلة قليلة من الحكام والحاشية يملكون الملايين التي تذهب معظمها إلى موائد القمار والملاهي والبارات في دول الرغب الاستعمارية.

غادر "دونالد ترامب" رئيس الولايات المتحدة الأمريكية أرض العرب وهو راضٍ عما أنجزه لشخصه وبلاده بعد أن حصل على مكاسب خرافية لم يكن يحلم بها في يوم من الأيام، واللافت أن الرجل وقبل أن يغادر رسم مخططاً وأوعز في تطبيقه بإيحاء من السعودية التي تكن حقداً مزمناً على دولة قطر لأنها تنافسها على زعامة الخليج وهي الدويلة الصغيرة في مساحتها وعدد سكانها والقوية فيما تملك من نفط وغاز استعمل معظم ريعه لتغذية الإرهاب ودفعه إلى سورية للنيل منها ومن مكانتها التاريخية لأن ذلك يصب في قناة الكيان الصهيوني المقرب من قطر والذي تربطه بها اتفاقيات سياسية واقتصادية مشبوهة بعضها معلن وبعضها الآخر خفي..

بدا الخلاف بين قطر ودول الخليج متفاقماً وطفا على السطح حينما خرج أمير قطر إلى العلن وصرح بأن علاقاته بالكيان الصهيوني متينة جداً وأن حماس هي الممثل الشرعي للشعب الفلسطيني أما الجمهورية الإسلامية الإيرانية فهي دولة جارة ومسلمة ويجب أن تبقى خطوط التعاون والتنسيق معها مفتوحة، وقد كثرت التفاسير حول موقف قطر هذا فمنهم من وصفه بمسرحية هزلية في حين أن آخرين أكدوا أن هوة الخلافات تتسع يوماً بعد يوم ولا أحد يعلم إلى أين يمكن أن يقود هذا الخلاف الذي قال عنه بعض المحللين إنه لم يكن مفاجئاً بالنسبة لهم، وإن بذوره موجودة بين الدولة الأكبر في الخليج وهي السعودية، وبين قطر الدولة التي تطمح إلى أن تتخطى حدودها، وسلاحها في ذلك تمتين علاقتها مع الكيان الصهيوني من جهة وتغذية الإرهاب في المنطقة من جهة أخرى ذلك الإرهاب الذي تستطيع أن توجهه كيف تشاء بما تملكه من مال تغدقه دون حساب؛ أما الموقف الإيراني فهو واضح وجلي وقد صرح قادته في غير مناسبة بأن عدوهم الرئيسي هو الكيان الصهيوني وليس غيره، وأن يدها ممدودة لجميع جيرانها دون استثناء من أجل إرساء قواعد السلم في المنطقة والحفاظ على هدوئها واستقرارها...

والجمهورية الإسلامية الإيرانية حليف قوي لسورية والسوريين ويجمعهم هدف واحد مشترك وهو محاربة الإرهاب الذي تغلغل في المنطقة من جهة، وإيقاف توسع الكيان الصهيوني ومنعه من تحقيق أحلامه من جهة أخرى، وبفضل هذا التحالف الاستراتيجي الذي يضم روسيا والمقاومة اللبنانية أيضاً بدأت تباشير النصر تلوح في الأفق، فها هو الجيش العربي السوري البطل وأعوانه الشرفاء يخوضون كل يوم معارك الكرامة والشرف لاستعادة الأرض وكنس الوحوش من فوق تراب سورية الطاهر لتتفرغ بعدها إلى مهمة لا تقل أهمية عن ذلك وهي إعادة بناء ما تهدم من حجرٍ وبشَر...

غداً حين تعلن سورية نصرها النهائي سيعود كل مهجرٍ إلى أرضه ويتوقف نزف القلوب التي تعرضت لألف غدرٍ وغدر، بذلك نكون نحن السوريين قد وفَينا بوعدنا الذي قطعناه للآباء والأجداد في أن نحافظ على هذه الأرض لنسلمها لأبنائنا وأحفادنا طاهرةً مطهرة ناصعة مثلما تسلمناها وأكثر...

في التاريخ أمثلةٌ كثيرة تثبت بأن النصر والغلبة في نهاية الأمر سيكونان إلى جانب الشعوب التي تدافع عن أرضها وترابها المقدس، ولنا في سورية خير مثال على ذلك فكم من أممٍ وجيوشٍ غزتها وحاولتها، إلا أنها في نهاية الأمر تحطمت عندَ أسوارها وعادت مكسورةً مدحورةً تجر خلفها أذيال الهزيمة والعار.

mouhammad.houdaifi@gmail.com

الأسبوع الأدبي

جريدة تعنى بشؤون الأدب والفكر والفن
تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق
أسست وصدرت ابتداءً من عام ١٩٨٦

المدير المسؤول:
أ.د.نضال الصالح
رئيس اتحاد الكتاب العرب

رئيس التحرير:
أ.محمد حديفي

مدير التحرير:
د.حسن حميد

هيئة التحرير:
سليمان السلمان ، عدنان كنفاني
د. عيسى الشماس ، فادية غيبور
نبيل نوفل ، د. نزار بني المرجة

الإشراف الفني:
نضال فهيم عيسى

رئيس القسم الفني:
مها حسن

(الفكر القومي العربي) ملف العدد الجديد من مجلة (الفكر السياسي)

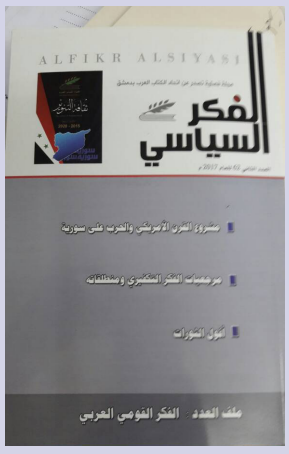

صدر العدد الجديد من مجلة (الفكر السياسي) الدورية الفصلية التي يصدرها اتحاد الكتّاب العرب، وضم بين تضاعيفه عدداً من الدراسات والبحوث، كما اشتمل على ملف دار حول الفكر القومي العربي من حيث النشأة ما بين التاسع عشر والحرب العالمية الأولى وقد كتب هذه الدراسة الدكتور خلف الجراد، وكتب دراسة (البعث والمشروع القومي العربي) الدكتور سليم بركات.

أما الدراسات في العدد فكانت: (في رحاب الشهادة والشهداء) محمد راتب الحلاق، و(مشروع القرن الأمريكي والحرب على سورية) زبير سلطان قدوري، و(نحو استراتيجية عربية لمواجهة التطرف والإرهاب) د. عمر الشاهد، و(مرجعيات الفكر التكفيري ومنطلقاته وترجمته على أرض الواقع) د. صياح عزام، و(القدس مدينة الله عصية على التهويد) رشيد موعد.

وفي باب القراءات دراسة تحت عنوان (أفول الثورات) خوسه أرتغواي غاسيت، ترجمة علي إبراهيم أشقر.

وفي النافذة الأخيرة نقرأ زاوية عنوانها (إشكالية الثقافة والإرهاب) كتبها الباحث الأرقم الزعبي).

أما افتتاحية العدد فكتبها الدكتور جابر سلمان رئيس التحرير وجاءت تحت عنوان (المشروع القومي العربي في مواجهة المشروع الصهيوني) وفيها نقرأ:

إن المتتبع لحركة تاريخ المنطقة يلاحظ أن ثمة مشروعين يتصارعان منذ أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين.. وهما:

المشروع الصهيوني الذي أنتجته الدوائر الاستعمارية الغربية في أواخر القرن التاسع عشر: ليكون ذراعاً لها تستطيع عبره ضرب الحلم الوحدوي الذي يساور تفكير القوى الطليعية من أبناء الأمة، إذ بقيام ذلك المشروع تتعثر الوحدة بين أقطار الوطن العربي، ولا يعود أبناؤه يملكون مقومات المواجهة الفاعلة لما تخطط له دول النفوذ الاستعماري الإقليمي والغربي، بما يمكّن تلك الدول من بسط نفوذها على المنطقة وفرض هيمنتها على مقدراتها والتلاعب بمصير شعبها..

أما المشروع الثاني فهو المشروع القومي العربي النقيض للمشروع الصهيوني.. المشروع الذي يجد فيه حاملو رايته خلاصاً للأمة من عوامل فرقتها وتمزقها، وفاتحة لاستعادة قوتها وهيبتها والانطلاق إلى مستقبل أرحب تكون فيه قادرة على مواكبة مستجدات العصر وبناء الدولة العصرية ذات القرار السيادي المستقل الذي لا مكان فيه لأي نفوذ خارجي عظم شأنه وبفعل التعارض بين المشروعين والتباين في توجهاتهما وأهدافهما شهدت المنطقة- وما تزال- صراعات دامية ذهب ضحيتها عشرات الآلاف من أبنائها، فضلاً عن استنزاف خيراتها الذي لم يتوقف منذ بدء ذلك الصراع وحتى تاريخه..